



جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

اللون ودلالاته في القرآن الكريم

إعداد الطالبة
نجاح عبد الرَّحْمَن المرزوقة

إشراف
الدكتور حسن محمد الربّابعة

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في الأدب قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2010

بسم الله الرحمن الرحيم



MUTAH UNIVERSITY

Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدسة من الطالبة نجاح عبدالرحمن المرازقة الموسومة بـ:

النون ودلالاته في القرآن الكريم
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية.
القسم: اللغة العربية.

التاريخ	التوقيع	
2010/05/24		د. حسن محمد الترابعة
2010/05/24		أ.د. محمد احمد المجاني
2010/05/24		أ.د. زهير احمد المنصور
2010/05/24		أ.د. شفيق عبدالرحمن الرقاب



MUTAH-KARAK-JORDAN

Postal Code: 61710

TEL: 03/2372380-99

FAX: 03/ 2375694

o-mail:

dgs@mutah.edu.jo sdgs@mutah.edu.jo
<http://www.mutah.edu.jo/grades/derasat.htm>

مؤتة - الكرك - الأردن

الرمز البريدي: 61710

التفون: 03/2372380-99

فيم: 5328-5330

فاكس: 03/ 2375694

البريد الإلكتروني

الصفحة الإلكترونية

الإهداء

إلى ذي العقل المدبر.....

ونبع العطاء المنهمرالدكتور حسن الربابعة

إلى صاحب القلب الكبير..... زوجي العزيز خالد البطوش (أبو محمد)

إلى ولدي محمد

إلى كل من له علي أياد بيضاء

إليهم جميعاً أهدي هذه الرسالة

..... وفاءً ومحبةً وتقديراً.....

نجاح عبدالرحمن المرازقة

الشكر والتقدير

لا يسعني في هذا المقام وقد أنعم الله عزَّ وجلَّ عليَّ بإعداد هذه الرسالة ، إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل، وخالص التقدير، إلى الدكتور حسن ربابعة الذي رحَّب بالإشراف على هذه الرسالة، فبعث في نفسي العزيمة والأمل، إذ تولاني بالرعاية لتتجيب، فلم يألُ من جهده شيئاً، إذ سخر عصاره فكره، وخلاصة علمه لخدمة الدراسات والبحوث، فإله أسأل أن يجزيه عني خير الجزاء وأوفر ه، وأن ينفعنا على الدوام بعلمه الوافر.

كما أتقدم بالشكر الخالص إلى أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقبول مناقشة الرسالة، وتحمل عناء قراءتها وتدبرها، من أجل تقويم ما أعوج منها وتعزيز ما استقام.....نفعني الله بملاحظاتهم وتوجيهاتهم السديدة فلهم كل الشكر والعرفان.

وهم:

1. الدكتور حسن محمد الربابعة مشرفاً ورئيساً
 2. الأستاذ الدكتور محمد أحمد المجالي جامعة الزيتونة عضواً
 3. الأستاذ الدكتور شفيق الرقب عضواً
 4. الأستاذ الدكتور زهير أحمد المنصور عضواً
- كما أزجي خالص شكري وعرفاني إلى من قدّم لي العون والمساعدة مادياً ومعنوياً مشجعاً ومؤنساً..... زوجي العزيز أبو محمد، فله مني كل الشكر، وأطيب الأمناني بدوام الصحة والعافية.

نجاح عبدالرحمن المرازقة

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
أ	إهداء
ب	الشكر والتقدير
ج	فهرس المحتويات
هـ	قائمة الجداول
و	قائمة الأشكال
ز	قائمة الملاحق
ح	الملخص باللغة العربية
ط	الملخص باللغة الانجليزية
1	المقدمة
	الفصل الأول: مفهوم اللون ومدلولاته وصفاته
5	1.1 اللون ومدلولاته وصفاته
8	1.1.1 مفهوم اللون لغة
12	2.1.1 أقسام الألوان وصفاتها
22	3.1.1 جماليات اللون في الدراسات الغربية
24	4.1.1 اللون والقداسة في العرف الاجتماعي
29	5.1.1 ألفاظ الألوان ودلالاتها النفسية
30	6.1.1 تأثير اللون على النفس
	الفصل الثاني: الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم
34	1.2 الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم
34	1.1.2 اللون في القرآن الكريم مفرداً وجمعاً
36	2.1.2 دلالات الألوان في القرآن الكريم تنازلياً
	الفصل الثالث: وسائل نقل اللون في القرآن الكريم
70	1.3 وسائل نقل اللون في القرآن الكريم
70	1.1.3 الفنون البلاغية

78	2.1.3 المستوى اللغوي
80	3.1.3 التراث
80	4.1.3 الطبيعة
81	5.1.3 العصر
81	6.1.3 الايدولوجيا
81	7.1.3 العامل النفسي
83	8.1.3 المكان والزمان والإنسان
84	9.1.3 الرمز/الشفيرة
86	10.1.3 الصورة المركبة والمفردة
87	2.3 النتائج
91	المراجع
96	الملاحق

قائمة الجداول

الصفحة	العنوان	الرقم
43	دلالات اللون الأبيض في القرآن الكريم	1
47	دلالات اللون الأخضر في القرآن الكريم	2
51	دلالات اللون الأسود في القرآن الكريم	3
59	دلالات اللون الأصفر في القرآن الكريم	4
60	دلالات اللون الأزرق في القرآن الكريم	5
60	دلالات اللون الأحمر في القرآن الكريم	6

قائمة الأشكال

الصفحة	العنوان	الرمز
38	توزيع الألوان حسب تكرارها في القرآن الكريم	أ

قائمة الملاحق

الصفحة	العنوان	الرمز
95	جداول توزيع الألوان في القرآن الكريم	أ

الملخص

اللون ودلالاته في القرآن الكريم

نجاح عبد الرحمن المرزوقة

جامعة مودة، 2010

جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ "اللون ودلالاته في القرآن الكريم" للتعرف على اللون ودلالاته، متقصية اللون ودلالاته في القرآن الكريم، وقد اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على عدد متوافر من المصادر والمراجع معتمدة على المنهج الإحصائي الوصفي في دراستها.

كأن من مبررات هذه الدراسة إضافة لأهمية الموضوع : محاولة الوصول إلى دراسة وافية كافية تفتح الباب أمام الدارسين لمواصلة الاستقصاء لإثراء المكتبة العربية.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

فعرضت المقدمة لمبررات الدراسة، ومنها الحاجة إلى دراسات متقصية في اللون، وتناول الفصل الأول مفهوم اللون لغة واصطلاحاً، ودلالاته الاجتماعية والنفسية. وتناول الفصل الثاني دلالات اللون في القرآن الكريم مفرداً وجمعاً، ودلالة الألوان في القرآن الكريم تنازلياً، بدءاً بالأبيض والأسود، ثم بمختلف ألوانها مع الأصباغ الأخضر والأصفر والأحمر، وانتهاءً بالأزرق، وعرض الفصل الثالث وسائل نقل اللون في القرآن الكريم، فعرضت الفنون البلاغية، والمستوى اللغوي، والتراث، والطبيعة، والعصر، والايديولوجيا، والعامل النفسي، والمكان والزمان والإنسان، والرمز/الشفرة، والصور المركبة والمفردة.

وعرضت الخاتمة لأبرز النتائج لقيم اللون، وأهميته، فهو عنصر جمال قيم سلباً وإيجاباً، يبيته الله تعالى في ثنايا الكون، وله تأثيره البالغ على النفس الإنسانية، ومدعاة للتدبر في دلالاته التي أبدعها الخالق في مخلوقاته.

Abstract

Color Denotations In Holy Quran Najah Abdurrahman al_marazqeh Mutah University 2010

This study aimed at identifying the color and its denotations in the holy Quran.

The researcher used different references depending on the descriptive historical method.

The study consists of an introduction three chapters and a conclusion. The introduction discussed the reasons for writing this study such as the need to realize the importance of colors in the Holy Quran and the shortage of the studies which discussed this issue.

The first chapter dealt with the definition of the color and its social and psychological denotations. The second chapter focused on the color denotations in the Holy Quran. The third chapter discussed the means of color transferring in the Holy Quran. The conclusion showed the importance of the color and its impacts.

The study concluded that beauty is a grace of god gifted to the man and colors are the main factors for this beauty which is spread in every where in the universe. It also concluded that colors have positive or negative impacts on the human beings.

المقدمة

إنَّ نِعْمَةَ الدِّينِ هِيَ مِنْ أَجْلِ النِّعَمِ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَأَسَاسُهَا هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَقَدْ تَنَوَّعتُ أَسَالِيبُ هِدَايَتِهِ وَوَجُوهُ إِعْجَازِهِ وَهُوَ مَائِدَةُ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ لَا يَشْبَعُونَ مِنْهُ ، يَتَجَدَّدُ بِتَجَدُّدِ الْأَحْوَالِ وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلُقُ بِكَثْرَةِ الرَّدِّ.

وَالْمَتَلْقَى لِأَلْوَانِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، لَا يُدْرِكُ أبعادَها، أَوْ يَقْتَنِصُ مَدلولَها مِنْ دالِها، إِنْ كانَ فِي مَعزَلٍ عَنِ الْبِلاغَةِ وَفنونِها، لِأَنَّ اللَّوْنَ يُغَلِّفُ حِيناً بِالرَّمْزِ، أَوْ يَقْتَنِصُ بِدلالةِ الاقْتِضاءِ؛ إِذْ بِفَهْمِ المَحذُوفِ مِنَ السِّياقِ، أَوْ حِيناً بِدلالةِ الإِشارةِ، وَتارةً بِأَفانينِ الْبِلاغَةِ الْمُتعدِّدةِ: مِنْ جِناسٍ وَمطابِقَةٍ وَتدبيجٍ وَتارةً يَفْهَمُ دالِ اللَّوْنَ أَوْ مَدلولَهِ بِاسْتِقْراءِ النَّفْسِ الْإِنْسَانيَةِ؛ فِي الرُّؤيةِ وَالرُّؤيا، وَتارةً تَلحُظُ تراكيبَ صُورةِ لَوْنِيَّةٍ، مُنفردةً حِيناً، أَوْ مُترابِكةً حِيناً آخَرَ، فَيَبْعَثُ اللَّوْنَ الْوَاحِدَ فَرِحاً لِمَتَلَقٍّ، أَوْ تَرِحاً لِآخَرَ، فَبِقِرَّةٍ صَفراءِ تُسَرُّ النَّاظِرِينَ لَكِنَّها غَاليَةُ الثَّمَنِ، ما كادُوا يَدْفَعُونَ ثَمَنَها.

وَتَتَغَيَّرُ دلالَةُ اللَّوْنِ الْوَاحِدِ؛ إِذا ما اِعْتَقَدْتَ أَنَّ يَدَ مُوسَى الْبِياضِ تُشعُّ كَشَمْسٍ تُبْهَرُ فِرْعَوْنَ وَسَحَرَتْهُ، كَمَعْجَزَةٍ مِنْ تِسْعٍ لَهْ، وَوَجْوهُ الْمُؤْمِنِينَ بِيضٌ يَوْمَ الْقِياَمَةِ بِبِشْرَى الْجَناتِ، فَبِياضِ الْخَيْرِ هَذا، لَا يَسْتَمِرُّ فؤُلُهُ عَلَى عَينِيَّ يَعْقُوبُ النَّبِيُّ اللَّتَيْنِ ابْيَضتا مِنَ الْحِزْنِ عَلَى وَلَدِهِ يَوْسُفَ، وَمَتَلْقَى الْأَلْوَانِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، لَا بَدَّ أَنْ يَسْتَعِينَ بِطَاقَةِ اللُّغَةِ وَأَبْنِيَّتِها الْمُتعدِّدةِ : مِنْ نَحْوِ وَصُوتٍ وَصَرْفٍ، وَالتَّوَقُّفِ عِنْدَ آراءِ اللُّغَوِيِّينَ وَالْمُفَسِّرِينَ، وَمُناسِبَةِ النِّصِّ أحياناً؛ لِاِقْتِناصِ مَدلولاتِ دِوالِ الْأَلْوَانِ.

وَالأَرْضُ كُلُّها أَلْوَانٌ وَأَضْواءٌ، وَالسَّمواتُ جَميعُها أَلْوَانٌ وَأَضْواءٌ، وَالكَونُ الْمَنْظُورُ، وَالأَكْوانُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ، أَلْوَانٌ وَأَضْواءٌ، وَكُلُّ ما يَنْشَأُ مِنْ أَجْرامٍ وَيَتَكُونُ مِنْ أَجْسامِ أَلْوَانٍ، وَأَضْواءٌ، وَعالمُ الشَّهادَةِ، وَعالمُ الْغَيْبِ، عالِمانِ مِنْ أَلْوَانٍ وَأَضْواءِ. وَحَدِيثُ الْقُرْآنِ عَنِ الْأَلْوَانِ وَمَدلولاتِها مَوْضُوعٌ جَدِيدٌ بِالدراسةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَوجَدُ - عَلَى حَدِّ عِلْمِ الْبَاحِثَةِ - دَراساتٌ تَتَوالَتُ هَذا الْمَوْضُوعَ بِشَكْلِ جادٍ؛ إِلا مَقالاتٌ مُتَنائِرةٌ هِوَأَبْحاثٌ قَليلَةٌ، شَأْنُ دَراسةِ مُحَمَّدِ قُرَانيَا الَّتِي تُعَدُّ الدَّراسةَ الْأولى الَّتِي

تناولت ظاهرة اللون في القرآن الكريم⁽¹⁾، وهي ملحظة علمية غير كافية، ويقال مثلها عن بحث سليمان الشعلي عن الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم⁽²⁾، إذ فيه تناول الألوان التي وردت في القرآن الكريم، وبين مواضعها في الآيات القرآنية، وذكر تفسير الآيات التي ورد فيها اللون، ولكن هذا البحث كان إشارات موجزة؛ تحتاج لتفصيل، ومثل ما كتبه الأستاذ نذير حمدان عن اللون والضوء بشكل عام، يُعدُّ في درج الدراسات التي تناولت اللون⁽³⁾، أمَّا كتب التفسير، فلم تُعَنِّ ببيان صورة الجمال والإعجاز للآيات التي ورد فيها ذكر الألوان، وقصارى ما يذكره المفسرون هو بيان المعنى العام، وما يرمزُ إليه اللون المستخدم في الآية، على أن مثل هذه الآيات تحتاج إلى نظرة أخرى، تُظهر جمال الصورة الذي ترسمه الآية، وهو وجه من وجوه الإعجاز، وقد تحدث سيد قطب عن التخيل والتجسيم والصور المتقابلة التي يرسمها القرآن الكريم، في كتابه "التصوير الفني للقرآن الكريم"⁽⁴⁾، لكنه لم يذكر شيئاً عن الصورة الجمالية التي ترسمها الألوان في الكتاب العزيز؛ ولهذا جاءت هذه الدراسة محاولة للتأمل في الآيات التي تحدثت عن الألوان، وتناولته في سياقها القرآني المعجز، وبين الصورة الجمالية التي يعرضها القرآن، من خلال توظيف الألوان في مكانها المناسب.

كأن من مبررات هذه الدراسة إضافة لأهمية الموضوع: محاولة الوصول إلى دراسة وافية كافية تفتح الباب أمام الدارسين لمواصلة الاستقصاء لاثراء المكتبة العربية.

¹ (قرانيا، محمد، (1998) هرة اللون في القرآن الكريم، بحث نشر في مجلة التراث العربي، العدد 70 رمضان، 1418هـ كانون الثاني، يناير، السنة الثامنة عشرة، الامارات.

² (الشعلي، سليمان بن علي، (2007) ألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، مجلة جام عة المشاركة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد4، العدد3، الشارقة، الامارات.

³ (حمدان، نذير، (2002) للوء واللون في القرآن الكريم : الإعجاز الضوئي - اللوني، ط1، دار ابن كثير، بيروت.

⁴ (قطب، سيد، (1996). التصوير الفني في لقرآن الكريم، ط25، دار الشروق، القاهرة.

وتتبع أهمية هذه الدراسة من مدى أهمية اللون – وهو أحد أهم عناصر الجمال في حياة البشر، وكيف أنّ القرآنَ صَح تلك الأهمية، وأنت بعض آياته لإعلاء قيمة اللون و دلالاته في القرآن الكريم، ودراسة الجوانب الفنية لهذه الدلالات ومادتها واستخداماتها في السياق القرآني.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على عددٍ متوافرٍ من المصادر والمراجع العربية، وذلك في الميادين المتصلة بمضمونها التي شكّلت للباحثة قيساً؛ فدخلت من خلاله إلى موضوعها، أمّا المراجع العربية الحديثة فإنّها تُشكّل في مجملها دراسات سابقة استضاءت بها الباحثة، أمّا المصادر القديمة، فأفادت الدراسة من المؤلفات المتصلة باللون، ومدلولاته، وتفسير القرآن الكريم، ومنها: "المعجم المفهرس لمعاني القرآن الكريم"، و "إعراب القرآن الكريم وبيانه" لمحبي الدين درويش، و"تفسير ابن كثير"، ومعجم اللغة منها: لسان العرب لابن منظور.

ولا تدّعي الباحثة القولَ باعتماد منهج بذاته دون غيره من مناهج البحث المعروفة، في عمل ما؛ وذلك لأن أيّ منهج لا يمكن أن يكون بريئاً كلّ البراءة من تأثيرات مناهج أخرى، لهذا فقد جعلت دراستي قائمةً على قراءة النصوص القرآنية وفهمها وتفكيكها، والوقوف على ألفاظ اللون ومن ثمّ محاولة توضيح مدلولات اللفظة ودالاتها استعانةً بكتب التفسير، والمعجم العربية، وبعض البحوث والدراسات في هذا المجال، ويمكن تسميت هذا المنهج بالمنهج الاحصائي الوصفي.

هذا، وتقع الدراسة في مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة:

فالمقدمة تبين أهمية الدراسة، ودوافع الاختيار، والمصادر الرئيسية التي اعتمدت عليها، والدراسات السابقة، والمنهج الذي اعتمده الباحثة.

وتتناول الفصل الأول مفهوم اللون لغة واصطلاحاً، وقد تناول اللون عند

العرب، والدلالات الاجتماعية والنفسية لألفاظ الألوان.

أمّا الفصل الثاني: فتتناول دلالات اللون في القرآن الكريم

وتتناول الفصل الثالث وسائل نقل اللون في القرآن الكريم

وختمت دراستي هذه بخاتمة أوردت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، راجية من الله تعالى أن أكون قد وفقت في عملي هذا؛ خدمةً لكتاب الله المجيد وديننا الحنيف، وحسبي أني أخلصت النية، وصدقت العمل، وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

الفصل الأول

مفهوم اللون ومدلولاته وصفاته

1.1 اللون ومدلولاته وصفاته

تمهيد

إنَّ اللغةَ العربيةَ نَزول القرآن باللسان العربيِّ، لم تَعُدَّ العربيةُ أداةً للثقافة؛ بل أصبحت هي الثقافة؛ فظلت خالدةً بخلود النص القرآني، وظل فهم النص القرآني لا يتمُّ إلا على هَيِّ من أسرار العربية وطرائقها في الأداء، فانصرفت جهود المسلمين إلى فقه العربية وضبط ألفاظها وتحديد معانيها، حتى يكون الاحتكامُ إلى منطقتها في محاولة معرفة مُراد الله، وقد بيّن علماء الإسلام خطورة الجهل بمذاهب العرب في القول على تحريف المدلول في فهم النص القرآني، ومقاربة معانيه.

وَنَزَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمَ عَلَى قَوْمٍ كَانَ الْبَيَانُ صِنَاعَتَهُمْ، فَفَاجَأَهُمْ بِأَسْلُوبٍ لَا عَهْدَ لَهُمْ بِهِ، فَحَارُوا فِي أَمْرِهِ، فَهُوَ وَإِنْ تَأَلَّفَ مِنْ كَلِمَاتِهِمْ وَحُرُوفِ لُغَتِهِمْ، فَإِنَّهُ جَاءَ بِنَظْمٍ مُتَقَرِّدٍ، يَدْرِكُونَ حِلَاوَتَهُ، وَيَحْسُونَ بَرُوعَتَهُ، دُونَ أَنْ يَسْتَطِيعُوا مَحَاكَاةَ، وَتَحْدَاهُمْ مَرَارًا أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ، أَوْ حَتَّى بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَعَجَزُوا، وَقَدْ شَمِلَ هَذَا التَّحْدِي الْخَلْقَ أَجْمَعَهُمْ، لَيْسَ فِي الْبَيَانِ فَحَسَبٌ، الَّذِي هُوَ صِنَاعَةُ الْعَرَبِ، بَلْ فِي أَوْجِهٍ أُخْرَى مِنْ إِعْجَازِهِ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾⁽¹⁾، هَذَا التَّحْدِي أَفْقَدَ الْقَوْمَ تَوَازِنَهُمْ، وَرَشَدَهُمْ، فَذَهَبُوا يَبْحَثُونَ عَنْ مَخْرَجٍ يَحْفَظُ مَاءَ وَجْهِهِمْ، مَعَ قِنَاعَتِهِمْ بِصَدْقِهِ، وَحَكْيِ الْقُرْآنِ عَنْهُمْ قَوْلَهُمْ، ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾⁽²⁾.

وقولهم، ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾⁽³⁾، وقولهم ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾⁽⁴⁾.

1 (الإسراء: 88)

2 (الأنفال: 31)

3 (الفرقان: 4)

4 (الفرقان: 5)

وكان للقرآن تأثيرٌ السّحرِ على النفوس، وإلا فما الذي دعا هؤلاء النفوس إلى التسلل مستخفين لسماع آياته، ومواعظه وهم أشدُّ القوم عناداً، وانصرافاً عن داعي الله، ولئن أنكر عنيدٌ كأبي جهل هذا الأثر، ورام التقليل من شأنه، فإنَّ الشمسَ لا تغطى بغربال، فهذا الوليد بن المغيرة أعظمُ القوم رئاسةً، وأكثرهم تذوقاً لمعاني كلام العرب، أعلن في صراحة قائلاً: والله ما في قريش من رجل أعلم بالشعر، أو رجزه أو قصيده مني، ولا والله ما يشبهه الذي يقول محمد شيئاً من هذا، والله إن لقوله لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أعلاه لمثمر، وإنَّ أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعلَى، وإنه ليحطم ما تحته⁽¹⁾.

هكذا يتحدث الوليد، وهو الفصيح البليغ العالم بكلام العرب، شعرهم ونثرهم، وهكذا يصف القرآن، إنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة... الخ، وهو وصف دقيق، صادر عن خبير عالم، وعن تأثر عميق بآيات القرآن، طغى على نفسه وأنساه كفره، وعناده، فأجرى الله الحق على لسانه.

هذا هو القرآن يأسرُ القلوبَ بجمالِ نظمِهِ، وروعةِ معناه، ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾⁽²⁾.

وإنَّ في تصوير القرآن ما يرتاح إليه السمع والبصر، أو ما ينفر عنه التصوير من خلال دقة بارعة لتصوير القبيح، كما في رسم مشاهد الكفار، ولذلك نقول: إنَّ الغائبة الأخيرة في الجمال القرآني غائبة دينية، هي هداية البشر بالترغيب والترهيب، وإنَّ هذه الغائبة تعتمد على فنون اللغة بغناها وتبث فيها روح السمو، فالقرآن معجزة بيانية⁽³⁾

وما يهمننا في هذه الدراسة، تلك الصور البديعة التي يعرض القرآن فيها جانباً من جمال الخلق والطبيعة، ففي سورة النحل مثلاً قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ

⁽¹⁾ (الشعبي، الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، ص56

⁽²⁾ (الزمر: 23

⁽³⁾ (ياسوف، أحمد، جمالية المفردة القرآنية، دار المكتبي، دمشق، ط1، 1994، ص18-19

بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ* وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْبَلَدِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ⁽¹⁾، في الأنعام دفء من الجلود والأصواف والأوبار والأشعار، ومنافع في هذه وفي اللبن واللحم وما إليها، ومنها تأكلون لحما ولبنا وسمنا، وفي حمل الأتقال إلى البلد البعيد لا يبلغونه إلا بشق الأنفس، وفيها كذلك جمال عند الإراحة في المساء، وعند السرح في الصباح، جمال الاستمتاع بمنظرها فارهة، رائعة، صحيحة، سميئة، وأهل الريف يدركون هذا المعنى بأعماق نفوسهم ومشاعرهم، أكثر مما يدركه أهل المدينة.

وفي الخيل والبغال والحمير؛ تلبية للضرورة في الركوب، وتلبية لحاسة الجمال في الزينة، لتركبوها وزينة، هذه اللفتة لها قيمتها في بيان نظرة القرآن، ونظرة الإسلام للحياة، أمّا قوله: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ تظل معجزة قائمة على مخلوقات لا يدركها الإنسان إدراكا تاما في أي عصر من عصور حياته.

فالجمال عنصر أصيل في هذه النظرة وليست النعمة هي مجرد تلبية الضرورات من طعام، وشراب وركوب؛ بل تلبية الأشواق الزائدة على الضرورات. تلبية حاسة الجمال، ووجدان الفرح، والشعور الإنساني المرتفع على ميل الحيوان وحاجة الحيوان⁽²⁾

ويعرض القرآن في هذه الآيات لوحات من الجمال الحسي، ويعدها من النعم التي امتن بها على عباده؛ جمال الأنعام حين تسرح وتروح، وأيضا تلك التي لا تروح ولا تسرح، وإنما تستخدم للركوب والنقل، كالخيل والبغال والحمير، فلها جمال وزينة، لا يقل عن الأولى في رواحها وسرحها، وجمال الخيل لا يخفى وقد وصفها الله، بالصافنات الجياد، وبالعاديات، ثم تعرض الآيات لوحة فنية أخرى لا نقل جمالا وروعة، صورة الماء النازل من السماء، والأنهار وقد أنبت الله - تعالى

¹ (النحل: الآيات (3، 4، 5، 6، 7، 8).

² (قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط ٢٥، 1996، ج 4 / ص ٢١٦

- به جنات من نخيل، وأعناب، وزروع، وصورة الثمار المتدلّية... ثم يربط هذا كله بصور أخرى من جمال الكون؛ صورة الشمس والقمر والنجوم، وصورة الفلك تجري بأمر الله في البحار، وصورة الجبال والأنهار.

وفي ثنايا هذه الصور كلّها، يأتي الامتتان باختلاف الألوان؛ فيما ذُكرَ وما لم يُذكر، وفي ذلك دلالة واضحة على أهمية هذه النعمة، وما لها من أثر حسي ومعنوي، على النفس الإنسانية، وهي لا تقلُّ بحال عن تلك النعم؛ التي ذُكرت معها، وهذا بلا شكّ جانبٌ من جوانب إعجاز القرآن الكريم. من هذا المنطلق، سيكون حديثنا في هذه الدراسة عن نظرية اللون، لغة واصطلاحاً وكيف وظّفها القرآن للتعبير عن المعاني المراد الحديث عنها وفق السياق الذي وردت فيه.

1.1.1 مفهوم اللون

أولاً: اللون لغة: ورد اللون في المعاجم العربية:

فقد ورد معنى اللون في معجم لسان العرب أنه: هَيْئَةٌ كَالسَّوَادِ وَالْحُمْرَةِ ، وَلَوْنُهُ فَتَلَوْنٌ وَلَوْنٌ كُلُّ شَيْءٍ مَا فَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ ، وَالْجَمْعُ أَلْوَانٌ ، وَقَدْ تَلَوْنٌ وَلَوْنٌ وَلَوْنُهُ، وَالْأَلْوَانُ الضَّرْبُ ، وَاللَّوْنُ النُّوعُ ، وَفُلَانٌ مُتَلَوْنٌ إِذَا كَانَ لَا يَثْبُتُ عَلَى خُلُقٍ وَاحِدٍ، وَاللَّوْنُ الدَّقْلُ وَهُوَ: ضَرْبٌ مِنَ النَّخْلِ"⁽¹⁾.

وورد في الصّحاح أنّ اللّون: هَيْئَةٌ كَالسَّوَادِ وَالْحُمْرَةِ . وَلَوْنُهُ فَتَلَوْنٌ . وَاللَّوْنُ: النُّوعُ فُلَانٌ مُتَلَوْنٌ، إِذَا كَانَ لَا يَثْبُتُ عَلَى خُلُقٍ وَاحِدٍ . وَلَوْنٌ الْبَسْرُ تَلَوِينًا، إِذَا بَدَأَ فِيهِ أَثَرُ النَّضْجِ. وَاللَّوْنُ: الدَّقْلُ، وَهُوَ: ضَرْبٌ مِنَ النَّخْلِ"⁽²⁾.

وقد تقاربت المعاجم العربية في إيراد معنى اللون، فقد كان المعنى يدور في أنه هيئة، وضرب لذلك أمثلة من الألوان، وقد اكتفينا في إيراد معنى اللون في لسان العرب ومعجم الصحاح.

⁽¹⁾ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . (د.ت). لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة (لون)، باب النون فصل اللام.

⁽²⁾ الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، (2005). مختار الصحاح دار المعرفة للطباعة والنشر ، باب (لون).

أمّا الثَّعالبي فاحتوى كتابه " فقه اللغة " فصلين: أحدهما عن الألوان ومفرداتها الموظَّفة في لون البياض والسود والحمرة في الإنسان والحيوان، كما عقد فصلاً آخر عن ألوان الثياب، ومادته يسيرة غير أنها مقتضية⁽¹⁾.

وأمّا ابن سيده في كتابه " المخصص " فكتب فصلاً عن النبات الذي يختضب فيه، كما ذكر عدة ألوان تستخدم للملابس؛ اعتمد على آراء عدد من اللغويين والنباتيين القدامى⁽²⁾ وقال ابن سيده في معجمه : للألوان الثلاثة : أحمر وأسود وأبيض أسماء مستعملة قريبة، وآخر بالإضافة إليها وحشية وغريبة لا تدور في اللغة مدارها، ولا تستمر استمرارها⁽³⁾.

وفي تفسير ابن عاشور " الألوان جمع لون، وهو عرض أي كيفية تعرّض لسطوح الأجسام بكيفية النور كصفات مختلفة على اختلاف ما يحصل عند انعكاسها إلى عدسات العين من شبه الظلمة، وهو لون السواد، وشبه الصبح، وهو لون البياض، فهما الأصلان للألوان"⁽⁴⁾

وقد ورد في القرآن الكريم بالمعنيين:

ففي قوله تعالى في وصف بقرة بني إسرائيل: ﴿ فَاقْعُ لُؤْهُا تَسْرُاتًاظِرِينَ ﴾⁽⁵⁾. ويمكن القول أنّ اللونَ هنا يعني الصفة التي تقوم بالجسد من البياض، والسواد وغيرها، ومثل ذلك يقال في قوله تعالى في وصف العسل: ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِها شَرَابٌ مُخْتَلَفٌ أَلْوَانُهُ ﴾⁽⁶⁾، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُها

¹ (الثعالبي، أبو منصور عبد الملك، (1992). فقه اللغة، ضبطه وعلق عليه: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية،

صيدا، ط1، ص121-129

2(ابن سيده، أبو الحسن علي ابن إسماعيل، (1956). المخصص، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر،

مجلد 209/11-211.

3 (ابن سيده، المخصص، ص16

4 (ابن عاشور، الطاهر، (2000). التحرير والتنوير، ط1، مؤسسة التاريخ، بيروت، ص ١٥٥ .

5 (البقرة: 69

6 (النحل: 69

وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ
كَذَلِكَ إِنَّمَا يَحْشَى اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿١﴾.

يذكرُ اللهُ تعالى خلقه للأشياء المتضادات، التي أصلها واحد، ومادتها واحدة،
وفيها من التفاوت والفرق ما هو مشاهد معروف، ليدل العباد على كمال قدرته وبديع
حكيمته، فمن ذلك: أن الله تعالى أنزل من السماء ماء، فأخرج به من الثمرات
المختلفات، والنباتات المتنوعات، ما هو مشاهد للناظرين، والماء واحد، والأرض
واحدة، ومن ذلك الجبال التي جعلها الله أوتادا للأرض، تجدها جبلاً مشتبكاً، بل
جبلاً واحواً فيها ألوان متعددة، فيها جدد بيض، أي : طرائق بيض، وفيها طرائق
صفر وحمرة، وفيها غرابيب سود، أي تشديدة السواد جدا، ومن ذلك : الناس
والدواب، والأنعام، فيها من اختلاف الألوان والأوصاف والأصوات والهيئات، ما
هو مرئي بالأبصار، مشهود للنظار، والكل من أصل واحد ومادة واحدة ، فتفاوتها
دليل عقلي على مشيئة الله تعالى، التي خصصت ما خصصت منها، بلونه، ووصفه،
وقدرة الله تعالى حيث أوجدها كذلك، وحكمته ورحمته، حيث كان ذلك الاختلاف،
وذلك التفاوت، فيه من المصالح والمنافع، ومعرفة الطرق، ومعرفة الناس بعضهم
بعضاً، ما هو معلوم⁽²⁾.

وعلى المعنى الثاني، أي الجنس، أو النوع، جاء قوله تعالى ﴿وما ذرأ لكم في
الأرض مختلفاً ألوانه﴾⁽³⁾، قال الألويسي⁽⁴⁾ " ألوانه أي أصنافه "، وقال الراغب: "الألوان
يُعبّر بها عن الأصناف والأنواع، يقال فلان يأتي بألوان من الحديث، والطعام⁽⁵⁾"

1 (فاطر: 28/27)

2 (ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، (1981). تفسير القرآن العظيم، دار الاسراء، عمان.

3 (النحل: 13)

4 (الألويسي، شكري، (1985). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث
العربي، بيروت، ط4، ج1، ص 11)

5 (الأصفهاني، الراغب، (1992). مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان داودي، ط1، دار القلم، دمشق،

وقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾⁽¹⁾، وذكر الألويسي أيضاً: "أن الألوان هنا تعني أنواعاً من التفاح، والرمان، والعنب، والتين،..."⁽²⁾

ولا شك أن تعدد الأصناف والأنواع يؤدي إلى تعدد ألوانها، فالثمار مثلاً تختلف ألوانها باختلاف أصنافها، بيد أن ما يهمننا في هذه الدراسة هو المعنى الأول، وعليه سيكون التركيز في الورقات التالية.

ثانياً: اللون اصطلاحاً: أمّا اللون اصطلاحاً في الموسوعات الحديثة، ففيه تفصيل في ضوء تطور العلم فهو خاطفيضونية تعتمد على طول الموجة، ويتوقف اللون الظاهري لجسم ما على طول موجة الضوء الذي يعكسه⁽³⁾.

وتعددت الألوان في الطبيعة واختلفت وتقاربت، وهناك عشرات الأسماء للتعبير عن اللون الواحد وهي تختلف باختلاف درجات اللون، وهو ما عرف قديماً باسم إشباع اللون أو تأكيده⁽⁴⁾ ويعود هذا الاختلاف في الأسماء والمسميات للون الواحد باختلاف الحقل الدلالي الذي يرد فيه، فالأبيض في الإنسان قد يختلف عنه في الحيوان⁽⁵⁾.

وكان العربي في العصر الجاهلي يلمس أدق الفروق في ألوان بيئته المحيطة ويعبر عنها في أدق المسميات⁽⁶⁾.

واللون في الحقيقة هو طاقة مشعة لها طول موجي، يختلف في تردده وتذبذبه من لون إلى آخر، وتقوم المستقبلات الضوئية في الشبكية باستقبالها، وترجمتها إلى ألوان، وتحتوي الشبكية على ثلاثة ألوان هي الأخضر، والأحمر، والأزرق، وبقية

1 (فاطر: 27

2 (الألويسي، روح المعاني، ج ٢٢، ص ١٨٩

3 (غريبال، محمد شفيق وزملاؤه، (1986). الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان، بيروت، لبنان، مج 2، ص 1581

4 (خليفة، عبد الكريم، (1987) ألوان في معجم العربية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، سنة 11، ص 36-37

5 (أبو صفية، جاسر خليل، (1990). الدقة العلمية في مسميات الألوان في اللغة العربية، بحث قدم في مؤتمر العلمي حول الكتابة العلمية في اللغة العربية، بنغازي.

6 (جبري، شفيق، (1967). لغة الألوان، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، ص 200

الألوان تتكون من مزج هذه الثلاثة، وقد اكتشف العلماء أنَّه عندما تدخل طاقة الضوء إلى الجسم فإنَّها تنبّه الغدة النخامية، والجسم الصنوبري مما يؤدي إلى إفراز هرمونات معينة تحدث مجموعة من العمليات الفسيولوجية، وبالتالي السيطرة المباشرة على تفكيرنا، ومزاجنا وسلوكياتنا⁽¹⁾.

2.1.1 أقسام الألوان وصفاتها

تختلف الألوان فيما بينها نتيجة لاختلافها في مواصفاتها الأساسية من حيث كنهه وقيمته وشدته، أمَّا كنه اللون: فهو الفرق الصريح بينها، وأمَّا قيمته فهي درجة عتمته أو استضاءته.

أمَّا شدة اللون: فهي درجة نقائه ومقدار خلطه مع ألوان أخرى. وقد تنبّه بعض علماء العرب ومنهم الجاحظ، فرأى: أنَّ الألوان كلَّها إنَّما هي من السواد والبياض، والاختلاف على درجة المزاج، بدليل قوله: "وزعموا أنَّ اللون في الحقيقة إنَّما هو البياض والسواد، وحكموا في المقالة الأولى بالقوة للسواد على البياض، إذ كانت الألوان كلها كلما اشتدت قربت من السواد وبعدت من البياض، فلا تزال كذلك إلى أن تصير سواداً"⁽²⁾.

وبتفصيل فإنَّ اللون عند العرب ذو دلالات اجتماعية ونفسية ، وسنتأوله عند بعض العلماء، منهم:

1. بلاغيو العرب ونقادهم
2. فلاسفة العرب والمسلمين.
3. فقهاء المسلمين.
4. مفسرو الأحلام.
5. النقاد المحدثون

1 (الشعيلي، الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، ص62
2 (الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1969). كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي، ط3، ج5، ص59

كما أن جماليات اللون نالت حظاً في الدراسات الغربية منهم من فرق بين الأدب والرسم بالألوان، ومنهم من ميّز بين الأدب والفن ، ومنهم من درس العلاقة بين الشعر والفنون، ومنهم من قارن بين الشعر والرسم الايطالي، ومنهم من عدّ الألوان سارة للمتلقّي فصدّ لها من حيث الترابط والإحساس الشخصي والموضوعي ونمط الشخصية، ومنهم من صدّ لها من حيث الخطاب اللغوي السيميائي، ومنهم من عدّها نتاجاً تشكيمياً من خلال دوال لونية بوساطة التحليل الدلالي كما يلي مفصلة:

أمّا اللون عند العرب فله دلالات اجتماعية ونفسية، وقد وردت عند خمسة أصناف من علماء العرب منهم:

أولاً: اللون عند بلاغيي العرب ونقادهم

أمّن أبرز بلاغيي العرب ونقادهم الذين تناولوا اللون، فهم: الجاحظ (ت 255هـ) وابن طباطبا (322هـ) وابن سنان الخفاجي (466هـ) وعبد القاهر الجرجاني (479هـ)، وحازم القرطاجني (684هـ).

الجماليّ فيرى الشعر صناعة وضرباً من النسخ وجنساً من التصوير (1)، ومثله ابن طباطبا الذي درس العلائق بين الفنون، فعنده أنّ الشّاعر الحاذق كالنّساج الحاذق الذي يفو فوشيه بأحسن التّفويّف ويسديه وينيره ولا يهلّ هله شيئاً منه هفيثكيالنقّاش الرقيق الذي يصنع الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه، ويشبع كل صبغٍ منها حتى يتضاعف حسنه في العيان (2).

وقال الجاحظ: وقد جعل بعض من يقول بالأجسام هذا المذهب دليلاً على أن الألوان كلها إنما هي من السواد والبياض، وإنما يختلّ فان على قدر المزاج، وزعموا أن اللون في الحقيقة إنما هو البياض والسواد، وحكموا في المقالة الأولى بالقوة للسواد على البياض، إذا كانت الألوان كلها كلما اشتدت قربت من السواد وبعدت عن البياض فلا تزال كذلك إلى أن تصير سواداً (3)

1 (الجاحظ، كتاب الحيوان، ج 1320/3

2 (ابن طباطبا، محمد العلوي، (1956). عيار الشعر، تحقيق: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، القاهرة، المكتبة التجارية، ص 5-6

3 (انظر: الجاحظ، كتاب الحيوان، ج 5، ص 56-62

أما ابن سنان الخفاجي فيرى أنّ ت ألف حروف الكلمة في السمع كتآلف الألوان في مجرى البصر⁽¹⁾.

عُهِدَ القاهر الجرجاني فذكر العلاقة بين الشعر والرسم، قال : " وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل معها الصور والنقوش، فكما أنك ترى الرجل قد تهقّي الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التميز والتخير، في أنفس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها، وكيفية مزحها لها وتزيينها، إلى ما لم يتهدّ إليه صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب، وصورته أغرب⁽²⁾ فأكد الجرجاني التقارب بين صفة المبدع والرسام، فكلاهما يقدم عمله حسياً، ولعل حازم القرطاجني أشار بعده بقرنين إلى هذه العلاقة فقال عن المحاكاة " إنّ المحاكاة المسموعات تجري من السمع مجرى الملونات من البصر....."⁽³⁾.

كما أدرك عبد القاهر الجرجاني أن دلالة اللون تتحو منحى نفسياً، إذ ليست مقصودة لذاتها في كلمة الليل التي شبه بها الـ نابغة الذبياني ممدوحه النعمان بن المنذر، بل انتحت منحى نفسياً.

فإنَّكَ كالليلِ الذي هو مُدْرِكِي وَإِنْ خَلْتِ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنكَ وَاسِعٌ⁽⁴⁾

ثانياً: اللون عند فلاسفة العرب والمسلمين

¹ (ابن سنان، أبو محمد الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، 1982، ص 64)
² (الجرجاني، عبدالقاهر، (1956) دلائل الإعجاز، تصحيح السيد محمد رشيد رضا، ط 4، القاهرة: دار المنار، ص(71)

³ (القرطاجني، حازم، (1981) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم محمد الحبيب بن الخوجة، ط 1، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص 104

⁴ (ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم . (1985). الشعر والشعراء، تحقيق : مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 84 والبيت من البحر الطويل . وقصد قدرة ممدوحه على الوصول إلى كل مكان، واختار الليل لأنه تغشى في نفسه التخوف منه، ولم يشبهه بالنهار الذي يصل إلى كل مكان يصله الليل، فبقول الجرجاني: " اختصاصه الليل دليل على أنه روى في نفسه، فلما علم أن حالة إدراكه - وقد هرب منه - حالة سخط رأى التمثيل بالليل أولى. انظر: الجرجاني، عبدالقاهر، (1954). أسرار البلاغة، المعارف، استنبول، ص 225

إنَّ من أبرز الفلاسفة المسلمين الذين أولوا بدلائهم في اللون ودلالاته :
الكندي (ت 260هـ) ومحمد الفارابي (ت 339هـ)، وابن سينا (ت 428هـ)،
والطوسي (ت 627هـ).

فالكندي يرى أن الحسَّ لا يُدرك الصورة إلا وهي في طبيعتها (1)، وأمَّا
الفارابي فذكر خمس حواس ظاهرة وخمس حواس باطنة، فالظاهرة هي التي تدرك
المحسوسات الخمسة المعروفة، ومن القوه الباهر ة تحس الألوان والأشكال
والأجسام(2).

ودلالة الألوان عند الفلاسفة المسلمين تتيح للنص جملة من الإحياءات
والرموز، إذا تعدى دلالة الألوان نطاقها الوضعي المطابقة إلى ما هو أعم، حيث
تتسع دائرة إحياء اللون للتفسير والتأويل، بتضمنها معانٍ ورؤى أعم من المعنى
الوضعي(3).

لقد عدَّ الفلاسفة المسلمون المحسوسات من بين مقدّمات المعرفة ومصادرها،
مع إيمانهم بأن الحسَّ يدرك الكلي لا الجزئي، وبوساطته يدرك العقل قضاياها
المحسوسة أو المشاهدة، كما أنه بوساطة الحس والقياس يدرك العقل المجريات(4).

ثالثاً: اللون عند الفقهاء المسلمين

أمَّا من أبرز الفقهاء الذين نظروا في أهمية اللون، وتصدوا له في نطاق
المحسوس الحاضر إلى ما وراء الذهن فهم ابن حزم الأندلسي (ت. 456هـ) في
كتابه "طوق الحمامة" و"الأصول والفروع"، أمَّا في الأول "طوق الحمامة" فيرى
أن اللون يتعدى الحسَّ الخارجي، ليتصلَ بـ أجزاء النفوس النائية، فقد يبالي بقوله أن
المرأة البيضاء لزوج أبيض ترزق بولد أسود؛ إذا دامت في مضجِعها تطالعُ اللون
الأسود، بمعنى أن أثرَ اللون النفسي، يتجاوزُ سطحَ الحسِّ إلى باطن الإدراك،

1 (الكندي، يعقوب بن اسحق ، (د.ت)بالة في حدود الأشياء ضمن رسائل الكندي الفلسفية، (د.ط)، (د.م)،
ج 167/1 .

2 (الفارابي، محمد بن طرخان، (د.ت)، الثمرة المرضية، (د.ط)، (د.م)، ص 72-73

3 (نوفل، يوسف حسن، (1985)، الصورة الشعرية، ط1، دار الاتحاد العربي، (د.م)، ص 7

4 (العراقي، عاطف، (1984). ثورة العقل في الفلسفة العربية، ط5، ص48، وما بعدها

ويتصور للون بريقاً وجاذبية؛ تجذب مهما تحول النظر من خلف أو من أمام، يقول ابن حزم من البحر البسيط:

مَنْ كُنْتُ قُدَامَهُ لَا يَنْتَنِي أَبَدًا فهِمَ إِلَى نوركِ الصَّعَادُ يَعْشُونَ
وَمَنْ تَكُنْ خَلْفَهُ فَالْنَفْسُ تَصْرِفُهُ إِلَيْكَ طَوْعًا فَهِمَ دَابًّا يَكْرُونَ⁽¹⁾

ولإيمانه بالنظرة الباطنية، يستحسن من النساء البيضاء كما استحسنها من قبل أبوه، ويكره السواد لتداعي معانيها بجهنم والضلال، فالشقراء تعادل النور، والسوداء تعادل جهنم، ويقول من البحر الطويل:

يُعَيُّونَهَا عِنْدِي بِشِقْرَةٍ شَعْرَهَا فقلتُ لَهُمْ: هذا الذي زانها عندي
يُعَيُّونَ لَوْنَ النُّورِ، وَالتَّبْرِ ضِلَّةً لرأي جهول، في الغواية ممتد
وَإِبعْدُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ مفضل جرم، فأحم اللون مسود
بِهِ وَصفتُ أَلْوَانُ أَهْلِ جَهَنَّمَ ولبسة باك مثكل الأهل ممتد
وَمُذْ لاحتِ الرِّايَاتُ سُودًا تَيْقَنَتْ نفوسُ الوري، أن لا سبيل إلى الرشد⁽²⁾

لقد تحول اللون الأبيض إلى أسود إلى دلالة أموية، إذ تغيرت الرايات البيض الأموية إلى سوداء عباسية، فوجدت في نفسه تغيظاً من تجولاتها. وأما في كتابه "الأصول والفروع" فورد رأي هشام بن أحمد لحكم الذي ذهب إلى أن كل ما في العالم هو جسم م، وعليه فالألوان أجسام، لأن الجسم إذا كان طويلاً عريضاً عميقاً فمن حيث وجدته وجدت اللون والحركة والطول والعرض والعمق للون أيضاً⁽³⁾.

فيرد ابن حزم عليه بأن الأبعاد الثلاثة، الطول والعرض والعمق، ليست للون بل هي لا جسم حامل اللون وحده، ويرفض ما عداها، وحجته "إذ لو كان للون طول وعرض وعمق، غير طول الجسم وعرضه وعمقه، لاحتاج إلى مكان غير مكان

¹ ابن حزم، أبو محمد علي احمد، (1980) ملوك الحمامة في الألف والالاف، تحقيق: صلاح الدين القاسمي، دار المعارف، القاهرة، ص23.

² (المصدر نفسه، ص24.

³ ابن حزم، أبو محمد، (1978).الأصول والفروع، تحقيق محمد عاطف العراقي وزميليه، ط1، دار النهضة العربية، ح145/1

الجسم على مقداره، ومن المحال أن يكون شيئان؛ طول كل واحد منهما مقدار ما يعان معاً، في مكان مساحته أحدهما، وهذا ما لا سبيل إليه في معقول⁽¹⁾.

رابعاً: اللون عند مفسري الأحلام

أمّا أبرز مفسري الأحلام فابن سيرين؛ إذ عرض في الكتاب المنسوب إليه تفسير الأحلام الكبرى "منهجه، ووزع تفسيره على تسعة وخمسين باباً في خمسمائة وست وستين صفة ببرز في تفسيره اللون ودلالاته، كما أبرز منهجاً نفسياً في تأويل الرؤيا، وهما يستحقان أن نتوقف عند دلالات لهما مبتسرة، إذ قليل من الأمثلة يغني عن استقصائها.

أمّ اللون فتوزع في أبوابه المتعددة نمتثل على ذلك بالقمر ودلالاته⁽²⁾، فإن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رأت ثلاثة أقمار سقطت في حجرتها؛ فقصدت رؤياها على أبيها الصديق - رضي الله عنه - فقال لها: إن صدقت رؤياك دفن في حجرتك ثلاثة؛ هم خير أهل الأرض⁽³⁾. وهم: الرسول - e -، وأبو بكر، وعمر رضي الله عنهما -، فكان ذلك فيما بعد، وابن عباس - رضي الله عنهما - رأى كأن قمرًا ارتفع من الأرض إلى السماء بأشطان، فقصد على رسول الله ﷺ فسره الرسول الكريم بقوله: ذلك ابن عمك "يعني نفسه ﷺ"⁽⁴⁾.

فنلاحظ مما سبق، سقوط ثلاثة أقمار في حجرة عائشة؛ يعادلون الثلاثة الأخيار، هداة الحق وقد فنوا في حجرتها، ويتحرر كُ القمر صعوداً إلى الملا الأعلى وهو رسول الله ﷺ. ويظلُّ للقمر دلالة حتى عند ابن سيرين نفسه، فتقص عليه امرأة رؤياها، وهو يتعدى، تقول له: "رأيت كأن القمر دخل في الثريا، وإذا بمناد ينادي أن ائتي ابن سيرين فقصي عليه رؤياك"، فقبض ابن سيرين يده عن الطعام

1) ابن حزم، الأصول والفروع، ج1/146-148

2) ابن سيرين، محمد، (1996). تفسير الأحلام الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، الباب 38، ص ص 287-313.

3) المصدر نفسه، ص298

4) المصدر نفسه، ص298

وقال لهيايتك كيف رأيت؟ فأعادت عليه فاربد لونه، وقام وهو آخذ ببط نه، فقالت له أخته: مالك؟ فقال زعمت هذه أني رميت إلى سبعة أيام، فمات في السابع⁽¹⁾.
فلئان القمر يرمز إلى اختفاء عالم يهدي الناس يدخل في الثريا (القبر) فإن القمر رمز النور في الظلمات ، وليس دائماً يفسر على هذا المنحى؛ ذلك أن رجلاً نظر إلى السماء في رؤيا، وتأمل القمر فلم يجده، ونظر إلى الأرض فرأى القمر قد تلاشى، فقصر رؤياه على معبر، فقال له : صاحب هذه الرؤيا هو صاحب كيمياء وذهب، فيذهب ماله، وان كان فقيراً فيسقط في الثرى.

هذا، وإن رأيت امرأة سقوط قمر مات زوجها، واتي رجل ابن سيرين يقول : رأيت كأن القمر في د ارنا، فقال يزوركم السلطان، وينزل بمصركم . وحكي أن قاضي حمص رأى كأن الشمس والقمر اقتتلا، ففرقت الكواكب عليها، فقصر رؤياه على الفاروق عمر - رضي الله عنه - فقال له: مع أيهما كنت؟ قال: مع القمر، فقراً عمر فمحنونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرةً " (2) فصرّفه عن عمل حمص، فقضى أنه خرج مع صفّ معاوية إلى صفّين فقتل⁽³⁾، ونفهم أن دلالة القمر (عنصر النور)، تتغيّر فالشمس ملك، والقمر وزير، وابن سيرين يعرف ذلك من سورة يوسف وما رآه.

خامساً: اللون عند النقاد المحدثين

أملّبرز النقاد المحدثين ممن تنبّه إلى دراسة الصورة الشعرية باعتبار اللون جزءاً منها، منذ الثلث الثاني من القرن الماضي حتى عصرنا الحاضر فأبرزتهم على نحو تدريجي دراسة الدكتور عبد القادر الرباعي في كتابه الموسوم " في تشكل الخطاب النقدي، مقاربات منهجية معاصرة " (4) إذ بيّن أثر أوّل دراسة عن الصورة الفنية عن شكسبير "كارولين سبيرجن" عام 1935 في لندن، وقد أثر كتابها على كل من ادوارد. أ. ارمسترونج في خيال شكسبير سنة 1946.

1 (ابن سيرين، تفسير الأحلام الكبير، ص298 - 299

2 (الإسرائيليات: 12

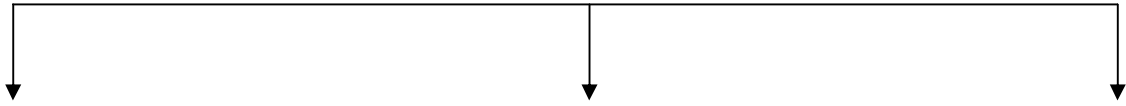
3 (ابن سيرين، تفسير الأحلام الكبير، ص297

4 (الرباعي، عبدالقادر، (1984) في تشكل الخطاب النقدي مقاربات منهجية معاصرة، الأهلية للنشر

والتوزيع، عمان، ص145 - 175

وأدرك الرباعي دور مجلة "المجلة العربية"، التي بدأت تنشر منذ النصف الثاني من القرن الماضي بحوثاً أو دراسات لكل من د . محمد غنيمي هلال عن لصورة الشعرية في المذاهب الأدبية فجمعها أخيراً كتابه النقد الأدبي الحديث " ويقال مثله عن بحوث الدكتور عز الدين إسماعيل حول تشكيل الصورة الشعرية من مناح نفسية جمعها في كتابه الموسوم بـ "التفسير النفسي للأدب"، وقد استفاد من النقاد الذين تبنا المنهج النفسي مثل فرويد وريتشاردز.

ثم قسم الرباعي الدراسات العربية في مجال الصورة ثلاثة أقسام:



- | | | |
|----------------|--------------------|-------------------|
| (3) | (2) | (1) |
| دراسة مفردة | دراسات تطبيقية ذات | دراسات عن الصورة |
| متخصصة بشاعرها | توجهات جماعية عامة | في الأصول العربية |

أما الأولى فمطَّها دراسان لحل من د . جابر عصفور، ود . كمال ابو ديب، بكتابيهما للصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي " عام 1972 لأول منهما، ونظرية عبد القاهر الجرجاني في الصورة الفنية عام 1970 لثانيهما. المراسلة التطبيقية فمائلتها دراسة الدكتور نصرت عبد الرحمن بعنوان الصورة الفنية في الشعر الجاهلي " عام 1972، ودراسة الدكتور علي البطل في كتاب للصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري " عام 1980، وكتاهما رسالة دكتوراه الأولى في القاهرة، والثانية في عين شمس.

أما الدراسة المفردة المتخصصة فدراسة الدكتور عبد القادر الرباعي المعنونة بالصورة الفنية في شعر أبي تمام " وهي رسالة دكتوراه في جامعة القاهرة عام 1976، فقد سلط الباحث الرباعي الضوء على أصول المؤلفات النقدية في مجالات الصورة الفنية ومناهجها، وبغية أن يؤسس قواعد واضحة الأفكار والخطط، ارتأى أن يخص دراسته بشاعر لعله في نظره أفضل مما سواها لأنه يقود إلى نتائج عميقة

وخصبة⁽¹⁾. وقد انتهج نهجه عدد من الباحثين في مجال الصور الفنية عند شاعر واحد لا غير⁽²⁾.

وملخصُ القول أن مفهوم الصورة الذي يكاد يكون موضع إجماع في الدراسات النقدية الحديثة على تباين آرائها الشديد على ما يذكره الدكتور الرباعي هي أنها تعني بمفهومين العام والخاص، أمّا العام فهي أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة وموحية.

أمّا مفهومها الخاص فهي صورة تركيبية عقلية، تحدث بالتناسب أو بالمقارنة بين عنصرين هما في أحيان كثيرة عنصر ظاهري وآخر باطني، وأن جمال ذلك التناسب أو المقارنة يحدد بعنصرين هما الحافز والقيمة، لأن كل صورة فنية تنشأ بدافع وتؤدي إلى قيمة⁽³⁾

وللون جماليات دفعت بالبحث إلى دراسة تبين فاعليته، ودلالاته الجمالية من خلال السياق الشعري؛ لأنه وحده الذي يحدّد دلالة اللون، شأن دراسة الدكتور موسى ربابعة بعنوان: "جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى" التي حاولت أن تستتق دلالة اللون وجمالياته في شعر زهير بن أبي سلمى، من خلال استقراء الشواهد اللونية في شعره في بحثه الذي قسم بحثه ثلاثة أقسام:

1. اللون والمجال الإنساني.

2. اللون والمجال الحيواني.

3. اللون والأشياء الأخرى

وقد حاول الربابعة أن يبيّن فاعلية اللون ودلالاته الجمالية ووظيفته من خلال السياق الشعري، إذ إن السياق هو الذي يحدّد دلالة اللون من خلال تفاعل الدلالة

1 (الرباعي، في تشكل الخطاب النقدي، ص145-175، وانظر هوامش الفصل الخامس، ص197-204.
2) انظر لا حصراً: ربابعة، حسن. (1994). الصورة الفنية في شعر البحتري، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، عمان؛ وانظر: عساف، ساسين. (1982). الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس، المؤسسة العلمية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت؛ وأبو زيد، علي، (1981). الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي، القاهرة، دار المعارف، و سلوم، داود. (1982). الصورة الفنية في شعر عرابة اليمانية، مسقط، وزارة التراث القومي.

³ (الرباعي، الصورة الفنية في النقد الشعري، ص85.

اللونية مع دلالة الكلمات المجاورة لها في سياق البيت الشعري، وأنَّ اللون لم يكن ظاهرة بصرية فقط، وإنما تجاوز ذلك إلى دلالة جمالية وذهنية ونفسية ووجدانية، إضافة إلى دلالات أخرى قد يثيرها اللون نفسه عندما يرد في سياقات أخرى⁽¹⁾ دراسة إبراهيم الحاوي والمعنونة بـ "التشكيل اللوني في شعر أبي تمام" والمنشورة في المجلة العربية للعلوم الإنسانية، عام 1997، التي تناولت ظاهرة التشكيل اللوني في شعر أبي تمام على مستويين هما : المستوى الموضوعي، والمستوى الفني أمَّا المستوى الموضوعي: فيعني استخدام أبي تمام الألوان في العديد من المعاني والموضوعات مثل : تأكيد الفضائل والمثل في الممدوحين، ومثل رسم صورة جمالية للمرأة من خلال إبراز محاسنها وألوان الزينة التي كانت تترين بها، ومثل الطبيعة وغير ذلك.

وأما المستوى الفني: فيعني استخدام أبي تمام الألوان استخدماً فنياً وفق قواعد الفن التشكيلي وظواهره المعروفة، وتتبع الدراسة تلك الظواهر في الصور اللونية مثل ظاهرة الفراغ، وظاهرة الإيقاع والتوافق، وظاهرة توزيع الضوء (كما كشفت الدراسة عن التأثيرات الإسلامية في التشكيل اللوني عند الشاعر⁽²⁾). ودراسة صالح الشتيوي بعنوان "جماليات اللون في شعر بشار بن برد" والتي هدفت إلى إبراز جماليات اللون في شعر بشار بن برد، فيقول الشتيوي : "فللون وظيفة وجدانية أو اجتماعية أو ميتولوجية يكتسبها النص الشعري، وقد استخدم بشار جميع الألوان، ووظفها في شعره، وقد ارتبطت هذه الألوان، لديه، بمجالات ثلاثة، هليجال الإنساني، والمجال الحيواني، والأشياء الأخرى، من مثل : المكان والسلاح والخمرة، وقد تأثر الدكتور شتيوي بدراسة الدكتور موسى ربابعة من قبل. وقد ارتبطت الألوان بنفسية بشار ارتباطاً كبيراً بسبب عاهة العمى، فجاءت الألوان للتعبير عملاً في نفسه من شعور ه بالنقص، ومن ذلك إكثاره من وصف

1 (ربابعة، موسى، (1998). جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى، بحث نشر في مجلة جرش للبحوث والدراسات، الأردن، ص 9 - 49

2 (انظر: الحاوي، إبراهيم، (1997) التشكيل اللوني في شعر أبي تمام، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 59، السنة الخامسة عشر، ص 90-143

صوت المرأة، وبيان جماله وأثره في النفس، فكان بشار يشبّه به بالألوان الجاذبة :
كالحمرء والصفراء⁽¹⁾.

3.1.1 جماليات اللون في الدراسات الغربية

أمّا جملتيّ اللون في الدراسات الغربية فأشار إليها كل من محمد حافظ دياب في "جماليات اللون في القصيدة العربية" ومحمد عناني في بحثه الموسوم بـ "التصوير والشعر والانجليزي الحديث".

أمّا محمد حافظ فأشار إلى كتاب هو جو ماجنوس المعنون بـ "التطور التاريخي لمعنى اللون" الذي نشره عام 1877 ومنذ نشره استمر الخلاف بين النقاد حول مصداقية توظيف الدوال اللونية، وانقسمت دراساتهم أقسداً أما فمنهم: من فرق بين الأدب والفن، ومنهم من درس العلاقة بين الشعر والفنون البصرية، ومنهم من قارن بين الشعر والرسم الإيطالي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين ومنهم من ابتدع نظريات حديثة، ومنهم من درس العلاقة أنثروبولوجياً، وعليه فانقسمت دراسات الباحثين أقساماً يبينها الجدول المشجر التالي:

(4)	(3)	(2)	(1)
H. wolffin 1915	F. Martz and G. Weinberg	Banovisky	J.P.Sartre
السويسري طور دراسة مقارنة للشعر والرسم الإيطالي في القرنين 15-16م، فاستفاد منها بندو كروتشو Croce عام 1926، في صياغة، نظريته حول "الرؤية المجردة"	درسا العلاقة بين الشعر والفنون البصرية وتحدثا عن علاقة الشعر الحوميري في القرن الثامن B.D بالأشكال الهندسية التي رسمت على الزهريات في العصر نفسه لاكتشاف نمط التشكيل المسيطر.	ثمة فرع متمم للتاريخ الثنائي Iconology يدرس أنماط التشكيل المسيطر Gestalt بين الأداب والفنون كالشعر والرسم والعمارة فدرس التراث الإغريقي واليوناني.	فرق بين الأدب والفنون فالعمل بالألوان غيره بالكلمات، وارتأى المعنى الغامض باللون لا يعد ذا بال.

1 (انظر: الشتيوي، صالح، (2000) جماليات اللون في شعر بشار بن برد، أبحاث اليرموك : سلسلة الآداب اللغوية، المجلد 18، العدد 1، ص 83-114

(9)	(8)	(7)	(6)	(5)
Congitive – Anthropology لإبداع النتاج التشكيلي والأدبي من خلال دوال لونية معينة بواسطة التحليل الدلالي. Semantic analysis	الخطاب اللغوي Semantic field	E. Bulloch أدوارد بلا هل كل الألوان سارة للمتقي؟ فصنفها إلى:	M. Shapiro and Max Bece نظريّة العموميّات الدلالية Semantic universal.	W. Steiner نظرية العلامة Sign theory.

نمط الشخصية Character فالأحمر صريح والأزرق تأملي.	الموضوعي Objective ويهتم بخصائص اللون.	الفسيولوجي Physiology ويخصّ الدرس باللون والإحساس الشخصي.	الترابط Associative (لون + فكرة مجرية بالماضي)، وهو أمّا مندمج فيفقد اللون مركزه في الوعي وهو غير مشروع جمالياً وغير مندمج لا يفصل فيه الترابط عن إدراك اللون
--	---	--	--

وفي النهاية يجيب (بلا) عن تساؤله بالقول لا يمكن وضع قاعدة قارة بشأن القيمة الجمالية للون بوجه عام⁽¹⁾

4.1.1 اللون والقداسة في العرف الاجتماعي

أدخل الإنسان القديم في حضارات الفراعنة الألوان في طقوسه وعباداته، فظهرت الأثواب المكرسة للصلاة يغلب عليها اللون الأحمر القرمزي، والأصفر الفاتح، والأزرق السماوي، ثم استعملت تلك الألوان في طلاء جدران المعابد والهياكل المقدسة، وصار لكل لون رمز و مرتبة، وفي بلاد ما بين النهرين، صنفت الألوان صنفين: أحدهما ترتديه الأسرة المالكة، وترفرق به قصورها ومقتنياتها، والآخر لعامة الشعب، أي بمعنى التمييز الطبقي بالألوان⁽²⁾

وفي العرف العام فهناك تعريفات جاهزة للألوان ودلالاتها، وهي في الغالب مستوحاة من الثقافة المعيشية دون إسقاطات مقعرة أو رمزية متوارية، فالأسود حزن وكآبة، والأبيض نقاء وطهارة، والأخضر سلام، والأحمر حب أو ثورة، أما في لغة الورود فالأحمر دلالة على الحب، والأصفر على الغيرة، والأبيض على النقاء والصدقة، وعلى الرغم من أن الأزرق من الألوان الشديدة الحضور إلا أن الثقافة الشعبية استبعدته من حساباتها فانضم إلى البني والليموني⁽³⁾.

والإنسان إلى الألوان الموجودة في بيئته، وعقد معها علاقات متنوعة؛ سيئة أو حسنة، ووضع لها أو لبعضها ألفاظاً تدلُّ عليها، وتميّزها عن غيرها، وبمرور الزمن تطوّر معجمه اللوني ونما نتيجة لتطور إدراكه من ناحية واختلاف مجتمعه الذي يعيش فيه عن غيره من المجتمعات من ناحية أخرى.

1 (ستولينتز، جيروم، (1981). النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية، ترجمة: فؤاد زكريا، ط 2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ص 73-74، و ص ص 111-114.

2 (انظر: متوج، سمران نديم، (2004). دلالات اللون ورموزه في الشعر الجاهلي، رسالة دكتوراه، جامعة تشرين، 185-190

³ حمدان، أحمد عبد الله ، (2008). دلالات الألوان في شعر نزار قباني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ص 39

وقد اكتسبت الألوان وألفاظها إلى جانب دلالاتها الحقيقية دلالات اجتماعية ونفسية جديدة نتيجة ترسبات طويلة، أو ارتباطات بزواهر كونية، أو أحداث مادية، أو نتيجة لما يملكه اللون ذاته من قدرات تأثيرية، وما يحمله من إحياءات معينة تؤثر على انفعالات الإنسان وعواطفه⁽¹⁾.

ومن الناس من يفضل ألواناً على ألوان أخرى ، لأنه يربطها بما يحب أو لا يحب بوجه عام، فمن الناس من يحب اللون الأخضر ؛ لارتباطه بفصل الربيع، ومنهم من يحب اللون الأزرق؛ لأنه يذكرهم بزرقة السماء في يوم اقترن بيوم طيب، ومنهم من يكره اللون الأحمر؛ لأنه مرتبط في أذهانهم بالخطر والدماء⁽²⁾.

ويتناول هذا الفصل ألفاظ الألوان ودلالاتها الاجتماعية في التراث الشعبي، وألفاظ الألوان الاجتماعية في التراث الديني، وألفاظ الألوان ودلالاتها النفسية.

وللألوان في العربية عميقة الجذور، توأمت الحياة العربية في بيئاتها المختلفة ومتطلباتها الحضارية عبر تاريخها الطويل، إذ تمتدّ ل الألوان ملمحا جماليا في الشعر العربي منذ القدم، و على الرغم من افتقار الصحراء العربية للألوان إلا أنّ نصوص الشعر العربي القديم جاءت حافلة بالدلالات اللونية، ربما كان ذلك تعويضا عن جذب الواقع وجفاف الصحراء؛ لذا عنى العربي عناية فائقة بالألوان، وذلك يظهر على أسنة شعراء العربية وخطبائها، واشتدّت هذه العناية في عصور ازدهار اللغة العربية التي تفرد لها أبوابا خاصة في مصنفات اللغويين المشهورين، أمثال أبي عبيدة معمر بن المثنى⁽³⁾ في كناية الخيل، فلو عدنا إلى الأدب الجاهلي لوجدنا أن للألوان مدلولات خاصة، وأنها لم ترد مصادفة، ولكنها ذات معان وضعت وفق ظروف خاصة بهذه البيئة الصحراوية.

ولدراسة ألفاظ الألوان ودلالاتها الاجتماعية في التراث الشعبي، فقد فصلنا

الألوان كما يلي:

¹ (عمر، أحمد مختار، (1997). اللغة واللون، ط2، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ص199

² (عبدالغني، صبري محمد، (1989). البحث في الفراغ، مطبعة جامعة بغداد، ص79

³ (خليفة، الألوان في معجم العربية، ص9 - 13

أ. اللونان الأسود والأبيض

وهما لونان متضادان، ارتبطا معاً، فوُظَّفَ اللون الأسود في المناسبات الحزينة والمواقف غير المحبوبة، ووُظَّفَ اللون الثاني في المناسبات المفرحة والمواقف المحبوبة لدى الإنسان.

ومثل هذا في تراثنا الشعبي، ولم يأت ارتباط التشاؤم باللون الأسود عبثاً، وإنما نتيجة لاستخدامه في بعض المناسبات، والمواقف الحزينة أو غير البهيجة، فقد اعتاد الناس؛ لبسَ السواد عند الحزن، فربطوا السواد بالموت، فنجد أن المرأة إذا مات أحد أقا ربها لبست اللون الأسود، وإذا مات أحد الملوك وضع على طرف صورته شريط أسولوشاع بينهم الخوف من الظلام؛ وما يحمله من مجهول، فربطوا الخوف من المجهول بالسواد، ولم يرتبط اللون الأسود في الطبيعة بأي شيء ذي بهجة، ونجد اللون الأسود، مرتبطاً بالطبيعة، بكثير من الأشياء المنفرة، فهو مرتبط بالغراب، والغراب مرتبط في أذهان العامة بالفراق والموت، والسواد مرتبط بالليل، والليل مخيف موحش.

أمَّا اللون الأبيض فقد حمل في التراث الشعبي دلالات؛ عكس ما حمله اللون الأسود، ولذلك استخدم رمزاً للطهارة والبراءة، وللتفاؤل، والرضا، ولجـ مال اللون وإشراقه، وهو كذلك رمز للسلامة.

ب. اللون الأخضر

يُعدُّ اللون الأخضر من أكثر الألوان استقراراً في دلالاته، وهو من الألوان المحبوبة ذات الإحياءات المبهجة كاللون الأبيض، ويبدو أنَّه استمدَّ معانيه المحبوبة من ارتباطه بأشياء مبهجة في الطبيعة كالنبات و بعض الأحجار الكريمة كالزمرد والزبرجد، ثم جاءت المعتقدات الدينية لتعمِّق من هذه الإحياءات حين استخدمت اللون الأخضر في الخصب والرزق⁽¹⁾.

ج. اللون الأحمر

أمَّا اللون الأحمر فتعددت دلالاته في التراث الشعبي وتباينت مفهوماته بصورة تجعله لوناً مميزاً وقد جاء هذا لتباين نتيجة لارتباطه بأشياء طبيعية،

⁽¹⁾ (عمر، اللغة واللون، ص79

بعضها يثير البهجة والانشراح، وبعضها يثير الألم والانقباض، فمن ارتباطه بلون الدم استعمل للتعبير عن المشقة والشدة والخطر، ومن ارتباطه بلون النار مادة الشيطان ⁽¹⁾ للتعبير عن الغواية والشهوة الجنسية، ومن ارتباطه بالذهب والياقوت والورد استعمل رمزا للجمال، ولظهوره على بعض أعضاء الجسم نتيجة انفعالات معينة استعمل رمزا للخجل والحياء تارة، وللغضب تارة أخرى ⁽¹⁾.

د. اللون الأصفر

أمَّا اللون الأصفر فليس له إحياء انتقائية، فهو تارة يستمدُّ دلالاته من لون الذهب وتارة من لون النحاس، كما يستمدُّها أحيانا من صفرة الشمس عند المغيب، وأحيانا من لون بعض الثمار مثل الليمون والتفاح، والطيب مثل الزعفران، والصبغ مثل الورد، وأحيانا يستمدُّها من النبات الذابل حين يجف فيميل لونه إلى الاصفرار ⁽²⁾.

هـ. اللون الأزرق

أمَّا اللون الأزرق فلم يتحدَّد مدلول الأزرق عند العرب بل تداخل مع ألوان أخرى كالأبيض و الأخضر، وهو إلى جانب هذا من الألوان النادرة في الطبيعة، كما أنَّ درجاته تتفاوت تفاوتًا كبيرًا لقربه من الأبيض حينًا، ومن الأسود حينًا آخر، ولعلَّ نقله ابن الخطيب من أنَّ لباس الحزن في غرناطة بالأندلس كان أزرق اللون، ويعود ذلك إلى الأزرق القاتم الذي يقربه من الأسود ⁽³⁾.

ألغاظ الألوان ودلالاتها الاجتماعية في التراث الديني، فأعطت بعض الديانات الديانات للألوان قيمة خاصة، واتخذت لها دلالات رمزية، ومنها ما ربط بعض الممارسات الدينية بألوان خاصة.

فاللون الأصقون مقدس ليس في الصين والهند، وكذلك في المسيحية الأوروبية، ولارتباط اللون الأصفر بالشمس والضوء استخدمه قدماء المصريين رمزا لإله الشمس رع، وهو لون التنوير، والحكمة الحماسة، والتفاؤل، والأمل،

¹ (عمر، اللغة واللون، ص75

² (المرجع نفسه، ص74

³ (المرجع نفسه، ص78

والمرح، والوضوح، والنقّة، ويوحى بالقوة، ويدعم الثقة بالنفس، ويفيد الحياة، وعيش اللحظة ذهنياً، يمثل التركيز، والذكاء، ويساعد في الذاكرة⁽¹⁾، ووردت **الصفرة** في الكتاب المقدس خمس مرات من بينها مرتان للإشارة إلى الخوف والاضطراب، وقد ورد **الأصفر** ومشتقاته خمس مرات في القرآن الكريم، وورد عشر مرات في الحديث النبوي الشريف.

أما اللون الأبيض فكان مقبلاً منذ العصور القديمة، ومكرراً ساءً لإله الرومان، وكان يضحي له بحيوانات بيض؛ والبياض أفضل لون عند العرب كما قيل: **"البياض أفضل، والسواد أهول"**، **والحمرة أجمل، والصفرة أشكل**، وعبروا عن الفضل، والكرم بالبياض حتى قيل لمن لم يتدنس بمعاب: هو **أبيض اللون**⁽²⁾.

أما اللون الأسود فقد كان مكروهاً منذ القدم، **وقدرمز** القدماء به وبكل الألوان القاتمة إلى الموت والشر، وقد ورد في القرآن الكريم سبع مرات، وتجاوزت كلمات **الأسود** في الحديث الشريف المائة بقليل، وقد ورد في الأثر أن الحجر **الأسود** قد نزل من الجنة أشد بياضاً من الثلج، وأنه اسود من ذنوب العباد وخطاياهم⁽³⁾. **أما اللون الأزرق** فيمثل مكانة خاصة في اليهودية، فهو لون الرب وهو أحد الألوان المقدسة عند اليهود، ولكنه قليل الأهمية في المسيحية، ومن النادر استخدامه في الطقوس الكهنيّولم يرد هذا اللون في الكتاب المقدس، و لكنه ورد في القرآن الكريم مرة واحدة⁽⁴⁾.

أما اللون الأخضر فيمثل في العقيدة الإخلاص والخلود والتأمل الروحي، ويسمى لون الكاثوليك المفضل، ويستعمل في عيد الفصح ليرمز إلى البعث، واللون الأخضر الحائل هو لون التعميد عند المسيحيين، وورد اللون **الأخضر** في الكتاب المقدس بضعا وعشرين مرة معظمها حول العشب والنبات وورق الشجر، وورد بعضها كلون محبوب مفضل، عرف المصريون القدماء تأثير الألوان على نفسية

¹ (الراشد، صلاح، (2005). مقال عن الألوان، مجلة فواصل، ص6

² (الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص15

³ (انظر: عمر، اللغة واللون، ص164

⁴ (عمر، اللغة واللون، ص164

الإنسان، فاستخدموا اللون الأخضر مثلاً في أكفانهم، ويعتبر عند المسلمين هو لون الألوان، وقد ورد في القرآن الكريم ثلاث مرات، و ورد في الحديث الشريف أكثر من ثلاثين مرة⁽¹⁾.

أمَّا اللون الأحمر فيرمز في الديانات الغربية إلى الاستشهاد في سبيل مبدأ أو دين، وهو رمز لجهنم في كثير من الديانات، وقد ورد هو ومشتقاته في الكتاب المقدس نحواً من عشرين مرة، وورد معظمها في معناه الحقيقي، وصفاً للخيل أو الثياب أو للماء أو للخمر أو للحبيب أو للسما، أمَّا في القرآن الكريم فلم يرد إلا مرة واحدة في معناه الحقيقي، وورد في الحديث النبوي ما يزيد على خمسين مرة بعضها في اللون المعروف وبعضها بمعنى الأبيض، وبعضها بمعنى الأصفر⁽²⁾.

5.1.1 ألفاظ الألوان ودلالاتها النفسية

كما للألوان القدرة على إحداث تأثيرات نفسية على الإنسان، فإنَّ لديها القدوتى الكشف عن شخصية الإنسان، لما لكلُّ منها من ارتباط بمفاهيم معينة ولما يملكه من دلالات وإيحاءات خاصة، وفيما يلي دلالات الألوان النفسية كما ذكرها الدكتور أحمد مختار عمر⁽³⁾:

فالأزرق القاتم هو الذي يدل على الخمول والكسل والهدوء والراحة، أمَّا الفاتح فيعكس الثقة والبراءة والشباب، والأزرق العميق يدلُّ على التميز والشعور بالمسؤولية.

أمَّا الأصفر فيرتبط بالتخفُّف والتهيو للنشاط، وأهمُّ خصائصه اللمعان والإشعاع والإثارة والانشراح، ولأنه أخف من الأحمر فهو أميل إلى الإيحاء منه إلى إثارة الانفعال، و الأصفر المخضر من أكثر الألوان كراهية، وهو يرتبط بالمرض والسقم والجبن والغدر والخيانة.

1 (الشعلي، الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، ص62

2 (عمر، اللغة واللون، ص164

3 (المرجع نفسه، ص228-230

أمّا الأَخْضِرُ رمز إلى العاطفة والرغبة البدائية والنشاط الجنسي ، وكلّ أنواع الشهوة، ويشير اللون الغامق منه إلى الانبساطية والنشاط والطموح، أمّا الفاتح فيدل على التهور وعدم النضج، كما يدلُّ على الحيويّة والشباب.

أمّا الأَخْضِرُ ترتبط بمعاني الدفاع والمحافظة على النفس، فهو إلى السلبية أقرب منه إلى الايجابية، ويمثل التجديد والنمو والأيام الحافلة للشبان الأغرار.

أمّا الأَبْيَضُ فيرمزُ للطهارة والنقاء والصدق.

أمّا الأَسْوَدُ فرمزُ الحزن والألم والموت، كما أنّهُ رمز الخوف من المجهول والميل إلى التكتّم.

6.1.1 تأثير اللون على النفس

لا ريب فإنّ للون تأثيراً على النفس الإنسانيّة فهو قوة موجية جذابة، تؤثر في جهازنا العصبي، وللنفس فرحة لا يستهان بها عند التطلّع إليه، إذ يشملها طرب قد لا يختلف عن طرب الموسيقى والغناء، اللون شعر صامت نظمته بلاغة الطبيعة وبيانها، فهو كلامها ولغتها المعبرة عن نفسيّتها.(1)

ونظراً لما للألوان من تأثير مباشر على نفسية الإنسان، ليس على المبصر فحسب، بل على مكفوفي البصر، فقد استخدم الصينيون القدماء العلاج بالألوان فيما يسمى "الفونج شوي"، وذلك بأن يلبس المريض ثوبا من لون معين، أو يجلس في غرفة حيطانها وفرشها من نفس هذا اللون، ويقوم بتركيز نظره لفترة محددة، في الوقت الذي يحصر فيه ذهنه، ويتأمل مكان الألم الذي يعانیه(2).

على أن الأذواق لم تتفق في الارتياح إلى لون محدد، ولم تظهر ارتياحها إلى لون آخر، فما اتفق ذوق شخص على لون صاخب قوي متعب كالأحمر مثلاً، أو لون هادئ مريح كالأخضر، فقد لا تراه نفس أخرى بمثل هذه السمات، ويمثل هذا التأثير، وعليه فإنّ الانسجام الواحد بين الألوان قد لا يكون له الأثر الواحد في جميع

1 (حمدان، الضوء واللون في القرآن الكريم، ص ٢

2 (الشعيلي، الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، ص 62

حالات النفس، فحين تتقبل النفس الألوان قد يحدث فرحاً، وحين لا تتقبلها تتقلب إلى حزن وأسى⁽¹⁾

هذا وقد عرف المصريون القدماء تأثير الألوان على نفسية الإنسان، فاستخدموا اللون الأخضر مثلاً في أكفانهم، وفي العقيدة الإسلامية، جاءت دلالات الألوان تعبيرية، أو رمزية، أو حسية، أو جمالية، وارتبط اللون بمصدرين جوهريين: أولهما النور القادم من السماء المقترن بالخالق العظيم، وثانيهما، الظلمة المقترنة بقبح الظلم، والطغيان المنافي لجمال العدل، وبذلك فإن جمالية اللون، تقتزن بوجود الضياء ثم تتداخل في المفهوم مع العدل، والقسطاس الإلهي، وأصبح اللون الأسود المظلم لون الحزن، والألوان المشعة دالة على الحبور في الأعراف الشعبية⁽²⁾

إن العالم ممثلياً بالألوان والأضواء، فلا تقدر الأحياء على الحياة من غير ألوان، ولا أضواء، وإن من الكون الذي تحلُّ فيه الألوان، والأضواء، هو كون الإنسان الذي ينعم بهما، ويلذ لهما⁽³⁾

هذا وقد امتنَّ الله على خلقه بنعمة اختلاف الألوان في مظاهر كثيرة من المخلوقات، كالزروع والثمار، والشراب، والطبيعة، بل والناس أنفسهم، فقد صبغ الله الخليقة كلاً بما يناسبه، حتى لكأنها تبدو في معرض من الألوان بديع، ولعل هذه الآية تجمع لنا مشاهد مختلفة من ألوان الطبيعة قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ الْأُنْعَامِ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾⁽⁴⁾

فألوان الثمار مثلاً، معرض بديع للألوان، يعجز عن إبداع جانب منه الرسامون في جميع الأجيال، فما من نوع من الثمار، يماثل لونه لون نوع آخر، بل ما من ثمرة يماثل لونها لون أخواتها من النوع الواحد، فعند التدقيق في أي ثمرة

1 (حمدان، اللون والضوء في القرآن الكريم، ص 40

2 (الشعلي، الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، ص 62

3 (المرجع نفسه، ص 1

4 (فاطر: 27

أختين يبدو شيء من اختلاف اللون، وينتقل من ألوان الثمار إلى ألوان الجبال نقلة عجيبة في ظاهرها، ولكنها من ناحية دراسة الألوان تبدو طبيعية، ففي ألوان الصخور شبةً عجيب بألوان الثمار، وتنوعها، وتعددتها...والجدد، والطرائق، والشعاب، وهنا لفظة في النص، فالجدد البيض مختلف ألوانها فيما بينها، والجدد الحمر مختلف ألوانها فيما بينها، مختلف في درجة اللون، والتظليل، والألوان الأخرى المتداخلة فيه، وهناك جُددٌ غرابيبُ سودٌ حالكة شديدة السواد، كما اللفظة إلى ألوان الصخور، وتعددتها، وتنوعها داخل اللون الواحد، بعد ذكرها إلى جانب ألوان الثمار، تهزُّ القلب هزاً، وتوقظ فيه حاسة الذوق الجمالي العالي، التي تنتظر إلى الجمال نظرة تجريدية، فتراه في الصخرة كما تراه في الثمرة، على بعد ما بين طبيعة الصخرة، وطبيعة الثمرة، وما بين وظيفتيهما في تقدير الإنسان، ولكن النظرة الجمالية المجردة ترى الجمال وحدهً عنصراً مشتركاً بين هذه وتلك، يستحق النظر والاتفات(1)

ومن جانب آخر، فإنَّ الأعراق البشرية بألوانها؛ السود، والصفرة، والحمرة، والبيضا، أجمل الألوان من بين مخلوقات الله، حتى وإن نفر بعضهم من السواد، أو الاحمرار، أو الاصفرار، فالسود صبغهم الله باللون الجميل الذي يناسبهم مثلُ البيض، فلا فرّقَ في الجمالية بين لون ولون، ما دام التلوين يظهر في صورة جميلة بديعة، وكثيراً ما يكون السواد، أمتع للنفس من البياض، والصفرة، حين تتكون مسحة السواد جمالاً، وصبغة الصفرة حسناً وبهاءً، أو ليس شعاع القمر، ولون المسك، أجمل ما في القمر، والمسك، كما قالوا. ومقابلة السواد بالبياض ليس مقابلة القبح بالجمال... إن للسواد مواضعَ زينة، وقبح، وللبياض مواضعَ زينة، وقبح.. إذ ليس كل أبيض جميلاً، ولا كل أسود قبيحاً(2).

وذهب بعض المفسرين كالألوسي(3) إلى أن تأويل قوله تعالى: ﴿وما ذراً لكم في الأرض مختلفاً ألوانه﴾(1)، و قوله تعالى: ﴿زرعاً مختلفاً ألوانه﴾(2) "باختلاف الأجناس

1 (قطب، في ظلال القرآن، ص ٢٩٤

2 (حمدان، الضوء واللون في القرآن الكريم، ص ٦

3 (الألوسي، روح المعاني، ج ١٤، ص ١١٠، ج ٢٣، ص ٢٥

والأصناف أبلغ من اللون الحقيقي"، ولعلمهم نظروا إلى تعدد النعم في أصناف المآكل والثمار، وهذا لا يدفع، لكن من تأمل الأرض وهي لوحة من الجمال في تعدد الألوان، واختلافها، سواء أكان ذلك في النبات، أو الثمار، أو الجبال، أو الحيوان، أو الإنسان، أو أي شيء من مخلوقات الله على هذه الأرض.

إنَّ المتأمل في ذلك يدرك أنَّ اختلاف الألوان مراد قطعاً من الآيات، إذ إنه يشكل لوحة إعجاز، ومظهراً من مظاهر قدرة الله، وعظمته، وبديع صنعه والهدف من التنويه به، النظر، والتأمل، ليصل بالإنسان إلى خشية الله، وتعظيمه "إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور" (3)

والعلماء المشار إليهم في الآية، هم العالمون بهذه الآيات الموثقة في ثنايا الكون من مظاهر قدرة الله في الخلق، قال الألوسي: والمراد بالعلماء العالمون بالله عز وجل، وبما يليق به من صفاته الجليلة، وأفعاله الحميدة، وسائر شئونه الجميلة، لا العارفون بالنحو والصرف حسَبُ مثلاً، فمدار الخشية ذلك العلم، لا هذه المعرفة فكل من كان أعلم به تعالى كان أخشى (4).

¹ (النحل: 13)

² (الزمر: 21)

³ (فاطر: 28)

⁴ (الألوسي، روح المعاني، ج ٢٢ ، ص ١٩)

الفصل الثاني

الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم

1.2 الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم

1.1.2 اللون في القرآن الكريم، مفرداً وجمعاً.

ورد لفظ ألوان ومشتقاته في تسع آيات فقط من القرآن الكريم، فقد ذكر لفظ ألوان وهو جمع كلمة (لون) في القرآن الكريم في مواضع سبعة أيضاً ولكن في ست آيات، كإشارة من المولى عز وجل إلى الأطياف اللونية السبعة المعروفة التي يتكون منها الضوء الأبيض، كما جاء ذكر لفظ لون مفردة مرتين في آية واحدة من آيات القرآن الكريم. ولقد وردت تلك الألفاظ في المواضع التالية:

أ. **لفظ لون:** يقول - تعالى -: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْثُهَا تَسُرُّ النَّازِلِينَ﴾⁽¹⁾

ب. **لفظ ألوان:** أما وروده جمعاً كان في سبع آيات توزعت على مخلوقات الله في الأرض مفصلة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأْتُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾⁽²⁾.

ووردت في الحديث عن النحل في سورة النحل في قوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁽³⁾.

وعلى اختلاف الألسنة البشرية وألوان الناس كقوله - تعالى -: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِذَافُ السِّنِّتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽⁴⁾.

¹ (البقرة: 69)

² (النحل: 13)

³ (النحل: 69)

⁴ (الروم: 22)

وعلى الثمار المختلفة كما في قوله وعلى الجبال المختلفة الألوان، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (1).

وعلى الناس والدواب كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (2).

وعلى الزروع المختلفة الألوان، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولَى الْأَبْصَارِ﴾ (3).

"والمبتصر في هذه الألفاظ، يجد في لفظي سورة البقرة، تحديدًا لماهية اللون، في حين وردت الألفاظ السبعة الباقية مقترنة بلفظي المصدر (الاختلاف، أو باسم الفاعل المختلف) ويبدو واضحًا أن اللون هنا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بهذه اللفظة التي تدل على الفروق والتباين وتعدّد المشارب، لإظهار أمرين هما: الأول: قُدْرَةُ الله سبحانه وتعالى وإعجازه فيما خلق من كائنات ومخلوقات، وما يضيف عليها من سمات وأوصاف في اختلاف الألسنة، وتباين الناس في اللون والميل، واختلاف الكائنات الأرضية الحية والنباتية والجمادة وما ينتج من البطون الجمادة والحية.

والثاني: دعوة الإنسان إلى التبصر والتفكر؛ لأن عددًا من هذه الألفاظ اللونية قد سبق بقوله تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ.." وفي هذا دعوة صريحة للنظر بالعين، والتفكير بالعقل، والتبصر بالقلب، لدراسة هذه الظاهرة التزيينية دراسة واعية نستخلص منها العبرة والموعظة، ونقر فيها للخالق بالتفرد، والإبداع والإعجاز" (4)

¹ (فاطر: 27

² (فاطر: 28

³ (الزمر: 21

⁴ (قرانيا، ظاهرة اللون في القرآن الكريم، ص 87- 88

والألوان هنا تأتي للتعبير عن " الأصناف " و " الأجناس " أو الهبئات " قال الطبري في تفسيره لا فظ ألوان: يعني أنواعاً وأصنافاً مختلفة من بين حنطة وشعير وسمسم وأرز ونحو ذلك من الأنواع المختلفة (1) أو قد تأتي لتدل على اختلاف الطعم كما في سورة النحل ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ (2) وقال الزمخشري: ألوانها: أجناسها من الرُّمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصر، أو هبئاتها من الحُمرة والصُّفرة والخضرة ونحوها (3).

2.1.2 دلالات الألوان في القرآن الكريم تنازلياً

تحتل الألفاظ ذات العلاقة باللون حيزاً واسعاً في اللغة، سواء منها ما كان صريفاً دلالاته أو غير مباشر، وهذا الحيز الواسع للغة عائد إلى طبيعة الألوان، وعلاقة الإنسان بها من جهة، ومن جهة أخرى سعة انتشار هذه الألوان في الطبيعة وانعكاساتها في الضوء والظلال، أمّا حال ألفاظ اللغة عموماً فترسّمت دلالات تلك الألفاظ، مع ما يمكن أن يحدث من تباين في الدلالات أو علاقات أخرى كالترادف والتضاد، "ألفاظ الألوان لها أهمية في علم الدلالة، من أجل المقارنات اللغوية، وتحديدتها بأسلوب موضوعي" (4)، والتناظر شكلاً من أشكال العلاقات الدلالية فالكلمات عينها قد يكون لها معانٍ مختلفة، إن مجرد اختلاف المعنى ليس في حد ذاته أهمية كبيرة، إنما تكمن أهمية الاختلافات في كونها مرتبطة بطريقة أو بأخرى. والألوان يطرّق حالها مع هذه الظاهرة اللغوية، فقد ترسّمت معالمها ودلالاتها في أذهان أهل اللغة ومخيلاتهم، فأخذت تؤدّي وظيفتها اللغوية، وتشيع على الألسن حسب ترابطها مع الفكر وما يختلج معها في النفس البشرية، لذا لم تعد الدلالة

(1) الطبري أبو جعفر محمد بن جرير ، (492) مع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت ، 626/10

(2) النحل: 69

(3) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، (د.ت). الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، القاهرة، 307/3

(4) الهمداني، الشريف علي بن محمد السيد ، (1991). التعريفات، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ص50

اللغوية مجردة في الفهم بل تعدى ذلك إلى أبعاد نفسية ذاتية، وأحيانا تشكل موروثا جمعيا في فكر الجماعة البشرية⁽¹⁾.

إنَّ ورود الألوان في القرآن الكريم بالجمع أكثر من الأفراد، يمكن أن نلمح منه أنَّ الاقتصار على لون واحد ليس جماليا، ولا متعة، واستشفافا واضحا لقدرة الخالق، فإنَّ شمول لون واحد في العالم، مثلُ فقدان كلِّ لون، فلا يُقبل هذا، ولا ذاك، إذ إنه ليس من الجمالية في شيء، وأي ملل يمكن أن يحيط بحياة الإنسان حين تبدو الحياة بلون واحد أو بغير لون⁽²⁾.

أمَّا لآلات الألوان في القرآن الكريم تنا زليا فقد برزت سبعة ألوان في القرآن الكريم، ضمن خمس وخمسين آية منزلة؛ في تسع وثلاثين سورة، موزَّعة على ست وثلاثين، وتكررت ست سور بآيات عدتها ثمانى عشرة آية مناصفة بين مكية ومدنية.

وقد جدولنا الألوان السبعة تنازليا : بدءاً بالأبيض والأسود ثم بمختلف ألوانها مع الأصباغ و الأخضر والأصفر والأحمر وانتهاءً بالأزرق بيِّنا فيه الألوان تنازلياً ، وعدد الآيات والسور، ونوع السورة : مكية ومدنية والمجالات التي توزعت عليها الألوان، في مجالات الكون الواسع، وذلك في عشرين خانة ضمَّها الجدول انظر الملحق (أ).

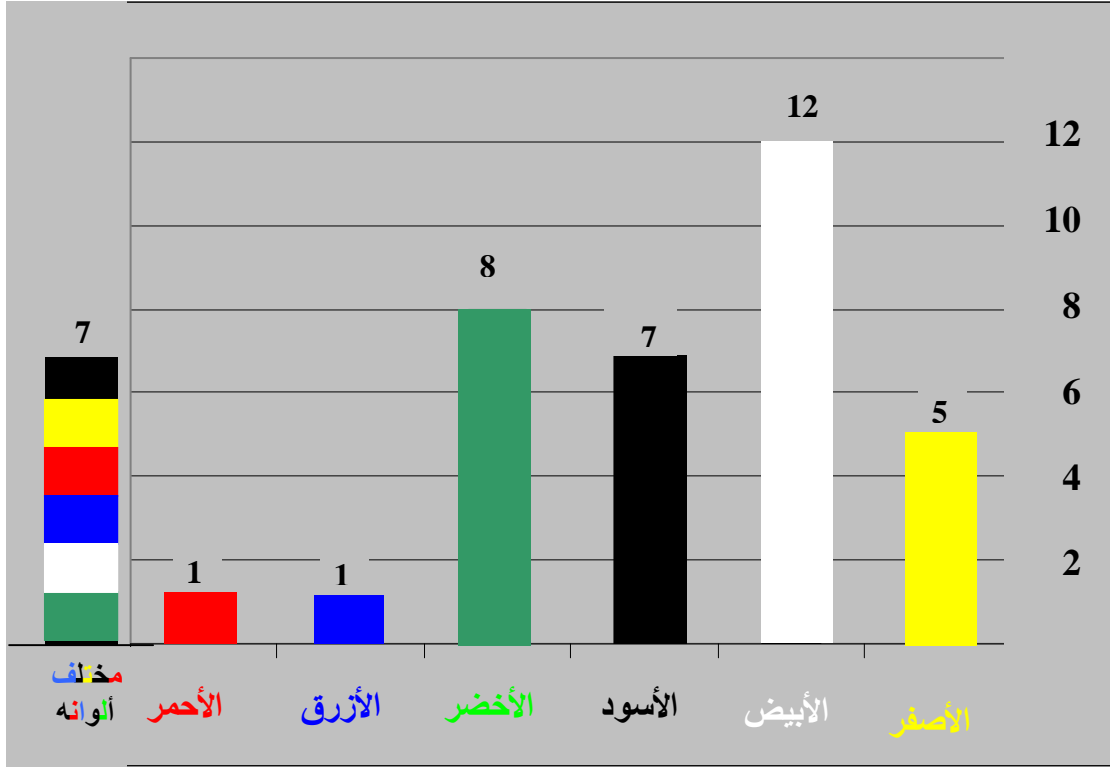
والجدول الثاني بيِّن السورة ونوعها وأدرج الآية الشاهدة، ورقمها ومجالات اللون الموزعة على شؤون الحياة والأحياء، وما يدور فيهما ، وترتيب كلِّ سورة تنازليا بحسب عدد الآيات التي ضمتها في مجال اللون، وملخص كل سورة وذلك في خمس عشرة خانة أدرجها الجدول الثاني انظر الملحق (أ).

¹ (حمدان، دلالات الألوان في شعر نزار قباني، ص40

² (حمدان، الضوء واللون في القرآن الكريم، ص27

أمّا توزيع الألوان حسب عدد تكرارها في القرآن الكريم، فالجدول التالي يبين توزيعها:

الشكل (أ)



توزيع الألوان حسب تكرارها في القرآن الكريم

أولاً: اللون الأبيض

ويأتي اللون الأبيض في المرتبة الأولى تكراراً في القرآن الكريم ، وقد

ذكر (12) مرة في اثنتي عشرة آية يعادل فيها:

- 1- تحديد وقت الفجر الحقيقي من الوهمي إذا كان في وقت الفجر.
- 2- يعادل وجوه أهل السعادة يوم القيامة.
- 3- يعادل بعض الأمراض مثل ذهاب سواد العين عند الحزن الشديد.
- 4- وبه معجزة موسى عليه السلام بابيضاض يده من غير سوء (برص).
- 5- يعادل لون بعض الجبال.
- 6- يعادل لون مشروبات أهل الجنة.

قال الرَّاغِب: البياض في الألوان ضد السواد، يقال أبيض ببيضٌ أبيضاضاً وبياضاً، فهو مبيض وأبيض. قال - عز وجل - : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْرَمْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾⁽¹⁾. بمعنى أن الذين ابيضت وجوههم، ففي رحمة الله ولما كان البياض أفضل لون عندهم كما قيل: البياض أفضل والسواد أهول، والحمرة أجمل، والصفرة أشكل، عبر عن الفضل، والكرم بالبياض حتى قيل لمن لم يتدنس بمعاب: هو أبيض اللون⁽²⁾.
قال الله تعالى:

1. ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَبْغُوهَا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِهُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾⁽³⁾

ويقول القرطبي: فقال بعضهم: يعني بقوله: الخيط الأبيض: ضوء النهار .
وبقوله: الخيط الأسود: سواد الليل فتأويله على قوله قائل هـ ذه المقالة: وكلوا بالليل في شهر صومكم، واشربوا، وباشروا نساءكم . مبتغين ما كتب الله لكم من الولد، من أول الليل إلى أن يقع لكم ضوء النهار بطلوع الفجر من ظلمة الليل وسواده.⁽⁴⁾

2. ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْرَمْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾⁽⁵⁾

إنَّ اختيار الوجه لنتعكس عليه الحالة النفسية من دون غيره من أعضاء الجسم، فيه حكمة بالغة، ليعبر عما في الجوانح من أحاسيس وهموم وخوفٍ وألم

¹ (آل عمران: 106)

² (الأصفهاني، المفردات، ص ١٥٤)

³ (البقرة: 187)

⁴ (القرطبي، محمد بن أحمد، (1985). الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تفسير سورة

البقرة، آية 187

⁵ (آل عمران: 106)

وهذه الصورة الإنسانية الكئيبة، التي تصور حال الكافرين من شأنها أن تفعل فعلها المؤثر في النفوس، فتعمل على التفتير من الأخلاق الذميمة، ونكران الجميل، والظلم، والكفر والكفران بنعم الله التي لا تعد ولا تحصى، ولعل هذا اللون القاتم الحالك قد ارتبط بالظلم، إذ بين الظلم والظلام أشياء كثيرة مشتركة في المعنى والدلالة واللغة، وله تأثير بالغ في زرع الرهبة في نفوس من بتوعدهم النص القرآني بوخيم العقوبة، والظلم ظلمات يوم القيامة⁽¹⁾.

3 . ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ آيَّصَتْ وُجُوهُهُمْ فَمَنِّي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾⁽²⁾

وأما الذين أبيضت وجوههم بنصرة النعيم وما بشروا به من الخير ، فهم في جنة الله ونعيمها، وهم باقون فيها، لا يخرجون منها أبداً.

4 . ﴿ وَنَزَع يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءٌ لِلنَّاطِرِينَ ﴾⁽³⁾

وجذب يده من جيبه أو من جناحه فإذا هي بيضاء كاللبن ، من غير برص آية لفرعون، فإذا ردها عادت إلى لونها الأول، كسائر بدنه.

قال: نزع يده من جيبه، {فإذا هي بيضاء للناظرين} وكان موسى رجلاً آدم، فأخرج يده، فإذا هي بيضاء كلبن من غير سوء، قال : من غير برص آية لفرعون.⁽⁴⁾

5 . ﴿ وَأَصَمُّ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءٌ مِّنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى ﴾⁽⁵⁾

ويقول القرطبي حدثنا ابن بشار، قال : ثنا حماد بن مسعدة، قال: ثنا قره، عن الحسن في قول الله : {بيضاء من غير سوء} قال: أخرجها الله من غير سوء، من غير برص، فعلم موسى أنه لقي ربه . قوله: {آية أخرى} يقول: وهذه علامة ودلالة أخرى غير الآية التي أريناك قبلها من تحويل العصا حية تسعى على حقيقة ما بعثناك به من الرسالة لمن بعثناك إليه . ونصب آية على اتصالها بالفعل، إذ لم يظهر

¹ (قرانيا، ظاهرة اللون في القرآن الكريم، ص 91

² (آل عمران: 107

³ (الأعراف: 108

⁴ (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة الأعراف، آية 108

⁵ (طه: 22

لها ما يرفعها من هذه أو هي (1). وكان اللون الأبيض على اليد وعين يعقوب، وكأس المعين يوم القيامة، وعلى الحور العين، أما اليد البيضاء فكانت يد موسى عليه السلام بدليل الآيات التالية ودلالاتها.

6. ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءٌ لِلنَّظِيرِينَ﴾ (2)

وأخرج يده من جيبه فإذا هي بيضاء كالثلج من غير برص، تبهر الناظرين ، ونلاحظ أن كلمة "لِلنَّظِيرِينَ" دليل على أن هذا البياض كان مرئياً وليس صفة للنقاء أو الوضوح، وقد أجمع المفسرون على أنها كانت تتلألاً كضوء الشمس أو تبعث ضياء كضوء الشمس (3).

7. ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (4)

وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء كالثلج من غير برص في جملة تسع معجزات، وهي مع اليد : العصا، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والجراد، والقمل، والصفادع، والدم؛ لتأييدك في رسالتك إلى فرعون وقومه ، إنهم كانوا قومًا خارجين عن أمر الله كافرين به.

8. ﴿اسْأَلْكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (5)

أدخل يدك في فتحة قميصك وأخرجها تخرج بيضاء كالثلج من غير مرض ولا برص، أضمم إليك يدك لتأمن من الخوف فهاتان اللتان أريتكهما يا موسى : من تحول العصا حيواناً جعل يدك بيضاء تلمع من غير مرض ولا برص ، آيتان من ربك إلى فرعون وأشراف قومه. إن فرعون وملاه كانوا قومًا كافرين.

¹ (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة طه، آية 22

² (الشعراء: 33

³ (الأسدي، سردار محمد سعيد المعمار، (2001). الإعجاز اللوني في القرآن الكريم، بحث مقدم إلى المؤتمر

الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص9

⁴ (النمل: 12

⁵ (القصص: 32

9. ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِیَصَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (1)

وأعرض يعقوب عنهم وقد ضاق صدره بما قالوه، وقال : يا حسرتا على يوسف وابتضت عيناه هباب سوادهما من شدة الحزن فهو ممتلئ القلب حزناً ، ولكنه شديد الكتمان له. (2)

10. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ (3)

وقوله تبارك وتعالى: " وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا " أي وخلق الجبال كذلك مختلفه الألوان كما هو المشاهد أيضاً من بيض وحمرة وفي بعضها طرائق وهي الجدد جمع جذة مختلفه الألوان أيضاً. قال ابن عباس رضي الله عنهما الجدد الطرائق وكذا قال أبو مالك والحسن وقتادة والسدي ومنها غرابيب سود قال عكرمة الغرابيب الجبال الطوال السود وكذا قال أبو مالك وعطاء الخراساني وقتادة وقال ابن جرير والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد قالوا أسود غرابيب ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الآية هذا من المقدم والمؤخر في قوله تعالى : " وَغَرَابِيبُ سُودٍ " أي سود غرابيب. (4)

11. ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بِيَضَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ (5)

{ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ } أي: يتردد الولدان المستعدون لخدمتهم بالأشربة اللذيذة، بالكاسات الجميلة المنظر، المترعة من الرحيق المختوم بالمسك، وهي كاسات الخمر . وتلك الخمر، تخالف خمر الدنيا من كل وجه، فإنها في لونها { بِيَضَاءٍ } من أحسن الألوان بيضاء في لونها لذیذة في شربها ، ويقول الدكتور

¹ (يوسف: 84)

² (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة يوسف، آية 84)

³ (فاطر: 27)

⁴ (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تفسير سورة فاطر .)

⁵ (الصافات: 46)

الأسدي: فأبي بياض هذا؟ تقول: ذلك الذي امتزج بنسب متساوية من الزرقة والحمرة والخضرة ذلك التساوي الخارق الذي يجعل البياض لا شائبة فيه من لون⁽¹⁾

12 - ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيَاضٌ مُّكْمُونَ﴾⁽²⁾

هذا وصف لنساء الجنة وأنهن بيض الأجسام بياضاً كبياض بيض النعام إذ هو أبيض مشرب بصفرة وهو من أحسن أنواع الجمال في النساء⁽³⁾

وتوزع اللون الأبيض على يد موسى - عليه السلام - في غير آية، فتحوّلت يده إلى البياض كمعجزة إلى فرعون تدليلاً على نبوته، فنجد اللون الأبيض هنا إعجازاً، أمّا ذكر اللون الأبيض لعين يعقوب عليه السلام فقد دل على الحزن، فتتغير دلالة اللون من إعجاز للأول أفحم به فرعون وسحرته، وحزناً للثاني على ما آل إليه مصير ولده يوسف عليهما السلام، فاللون وإن كان واحداً تتغير دلالاته حسب المنظور النفسي للرأي، والجدول (1) يبين دلالات اللون الأبيض في الآيات الكريمة للمزيد انظر الملاحق:

جدول (1)

دلالات اللون الأبيض في القرآن الكريم

الإية	السورة ونوعها	تفسيرها وملخصها	مجال إنساني	توزيع اللون على مجالات الحياة
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وَجوههم ففِي رحمة الله هم خالدون﴾	رقمها 107 مكية مدنية آل عمران 3	تبييض وجهه المؤمن يوم القيامة ويخلدون في رحمة الله في جنته	نهاية المد ومن يوم أخرى	مجاز مرسل علاقته الجزئية، بياض الوجه يعادل كناية عن موصف "الجنة" هم فيها خالدون
﴿وتولى عنهم وقال يا أسفا على يوسف وابتعثت ابنه الحزن فويلك﴾	يوسف 12 84	أعرض يعقوب عن أولاده لما أبلغه وهو مصير ولده الثاني كراهة لماسد مع منهم، فتلوهف على يوسف، ففقد بصره وعشي من البكاء على ولديه	عشي بصر يعقوب مدة ست سنوات، حزناً على يوسف الذي كان أخذ بمجامع قلبه	جناس ناقص اشتقاق وهو أشد الحزن وألف أسفا بدل ياء الإضافة (أسد في) وكثرة الاستعارة محضت العبارة سواد العين فبيضتها
﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾	106 آل عمران 3	من كان من أهل نور الحق، وسد بياض لاهون وابس فاره، وأبيض وجهه يوم القيامة	نهاية المؤمن ببيض وجهه والكافر يسود	يوم: ن صب على الظرفية أو باضمار انكر، تبيض وتسود طباق وبع ضمهم يحملها على باب الكناية عن المسرة

¹ (الأسدي، الإعجاز اللوني في القرآن الكريم، ص 9)

² (الصفات: 49)

³ (الجزائري، أبو بكر، (1994) ليسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، تفسير

سورة الصفات، آية 49

تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن ج571/1 وفيه أن عدي بن حاتم جعل تحت وسادته خيط بين ينظر إليهما ليتبين لونيهما، فلما أخبر الرسول (ص) قال له: إن كان إذا وسار له ريش؛ إنما ذلك بياض النهار من سد واد الليل؛ (الزمخشري ج123/1، وعدد الرحمن بن الجوزي: زاد المسير للنفوس مجل175/1	للمؤمنين والغم للكافرين	استعارة والمراد ببياض الصبح وسد واد الليل والخيط أن مجاز، فبياض الصبح في أول طلوعه مشرف خاف، وسواد الليل م نقض م ول، واللائحة ضد عيفان؛ فالأول يزداد انفجارا والثاني يزداد استسارا	الخيط الأبيض من الخيط الأسود (من) الفجر (لوم يدكر الفجر لم يعلم أن الخيطين مستعاران، فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا كما يراه الزمخشري	توقيت زمني يبدأ فيه الصوم وينتهي معه الآكل والشرب والجماع	أباح الله تعالى الآكل والشرب والجماع في أي الليل شاء الصائم، إلى أن يتبين ضياء الصباح من سواد الليل من الفجر	البقرة: 2	187	وكلاوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر
---	----------------------------	---	---	---	---	-----------	-----	---

اللون الأخضر

اللون الأخضر ويأتي في المرتبة الثانية تكراراً في القرآن الكريم، وهو "من الألوان المريحة المحببة للنظر، ومنها ثياب أهل الجنة، وهو رمز دائم للحب والأمل والخصب والخير والنماء والسلام والأمان"⁽¹⁾، وهو رابع الألوان ذكراً في القرآن الكريم، وقد ورد في سبع سور ثماني مرات، وقد توزع اللون الأخضر على النباتات، والأرض، والحيوان، واللباس، أما توزيعه على النبات مسبب عن المطر الذي تخضر النباتات به، كما في قوله تعالى:

1. ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُحِيزُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّحْلِ مِنَ طَلْعِهَا قَنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُسْتَمْتِهًا وَعَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾⁽²⁾

وتوزع اللون الأخضر كذلك على السنابل الخضر التي وردت في رؤيا الملك، كقوله تعالى:

2. ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبِرُونَ﴾⁽³⁾

3. ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾⁽⁴⁾

¹ قرانيا، ظاهرة اللون في القرآن الكريم، ص88

² (الأنعام: 99)

³ (يوسف: 43)

⁴ (يوسف: 46)

وعندما وصل الرجل إلى يوسف قال له : يوسف أيها الصديق فسّر لنا رؤيا من رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات هزيلات ، ورأى سبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلّي أرجع إلى الملك وأصحابه فأخبرهم ؛ ليعلموا تأويل ما سألتك عنه، وليعلموا مكانتك وفضلك.

وتوزع على لباس أهل الجنة، وذلك في وصف النعيم الذي ينعمون به أهل الجنة، فجعل اللون الأخضر تعبيراً عن النعيم، كقوله تعالى:

4. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿١﴾

أولئك الذين آمنوا لهم جنات يقيمون فيها دائماً، تجري من تحت غرفهم ومنازلهم الأنهار العذبة، يُحَلَّونَ فيها بأساور الذهب، وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا ذات لون أخضر نسجت من رقيق الحرير وغلظه، يتكئون فيها على الأسرّة المزدانة بالسناير الجميلة، نِعْمَ الثواب ثوابهم، وحسنت الجنة منزلاً لهم.

ونراه هنا قد توزع على الأرض المخضرة، كقوله تعالى:

5. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٢﴾

وورد في وصف الشجر الأخضر الذي يتحول في قدرة الله العجيبة، فيطابق بين ماء ونار في قوله تعالى:

6. ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَثْمَمْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٣﴾

7. ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٤﴾

ويقول القرطبي في تفسير هذه الآية :يقول تعالى ذكره : لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات عدن، يعني بساتين إقامة في الآخرة . {تجري من تحتهم

¹ (الكهف: 31

² (الحج: 63

³ (يس: 80

⁴ (الرحمن: 76. وقد ورد في ابن منظور، لسان العرب، في باب (رفف) أن والرّفْرَفُ ثياب خُضْرٌ يُتَّخَذُ منها للمجالس وفي المحكم تُبْسَطُ واحده رَفْرَفَةٌ ، وقال بعضهم هي الفُرْشُ والبُسْطُ وجمعه رِفَارِفُ ، وورد في باب(عقر) معنى عبقرى: البُسْطُ التي فيها الأصْبَاغُ والنُقُوشُ .

الأنهار} يقول تجري من دونهم ومن أيديهم الأنهار . وقال جل ثناؤه: {من تحتهم} ومعناه: من دونهم وبين أيديهم، يلجلون فيها من أساور { يقول: يلبسون فيها من الحلبي أساور من ذهب، والأساور : جمع سوار. قوله: {ويلبسون ثيابا خضراً من سندس} والسندس جمع واحدها سندسة، وهي ما رق من الديباج . والإستبرق: ما غلظ منه وثخن؛ وقيل : إن الإستبرق هو الحرير؛ ومنه قول المرقش : (البحر الطويل)

تراهنّ يلبسنّ المشاعر مرة وإستبرقَ الديباج طورا لباسها⁽¹⁾

يعني: وغلظ الديباج. قوله: {متكئين فيها على الأرائك} يقول: متكئين في جنات عدن على الأرائك، وهي السرر في الحجال، واحدها: أريكة⁽²⁾.

8. ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوا بِأَسَاوِرٍ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾⁽³⁾

يعلمهم ويجمل أبدانهم ثياب بطائنها من الحرير الرقيق الأخضر، وظاهرها من الحرير الغليظ يحلون من الحلبيّ بأساور من الفضة ، وسقاهم ربهم فوق ذلك النعيم شراباً لا رجس فيه ولا دنس.

ولعلّ "التدقيق في ألفاظ هذا اللون يثبت أن اثنين من هذه الألفاظ الثمانية قد ارتبطا بلون ثياب ومجلس المؤمنين في الجنة، بينما اقترنت الألفاظ الباقية بالنبات، ليدلّ دلالة واضحة على قدرة الله المطلقة في الخلق، والإعجاز في الإخصاب. فالنبات الأخضر ينبت من الأرض، والأرض تستمد ماءها من غيث السماء، لتنبت من كل لون وطعم ورائحة بأبهى حلّ ، وتروق النظر، وتنعش النفس، وتبعث فيها الأمل والحياة " فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج"⁽⁴⁾. "حتى لكأننا نرى مهرجاناً حقيقياً زاخراً بالألوان والأشكال ، وكلها مبهج وجميل، يلذّ الأعين والأحاسيس، مؤار بالحركة، متنوع الرقعة، متناسق التكوين والتلوين منعش الرائحة، وهذا كله من نعم الخالق الباهرة؛ التي تتجاوب مع روح

¹ (ورد هذا البيت في تفسير القرطبي، تفسير سورة الرحمن.

² (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة الرحمن، آية 76

³ (الإنسان: 21

⁴ (قرانيا، ظاهرة اللون في القرآن الكريم، ص 89

الكون الكبير، وتعبر عن المعاني النفسية والفكرية والاجتماعية، التي لا تخطر على بال البشر في استخدام الطبيعة للتعبير عن تلك المعاني الإنسانية الحية، وهي من الوفرة في القرآن الكريم بحيث تظهر ندرتها في الشعر العربي، كما تظهر مدى الخسارة التي أصابت الفن العربي، نتيجة لعدم استمداده من الرصيد القرآني المدّخر، ومدى ما كان يمكن أن يكون عليه من الثراء والغنى، فيما لو أنه اتجه إلى الكتاب الكريم، ورصيده الفني، واستمد منه الوحي والتوجيه"⁽¹⁾. والجدول (2) ح ورود اللون الأخضر في القرآن الكريم، وللمزيد انظر الملاحق.

جدول (2)

دلالات اللون الأخضر في القرآن الكريم

الآية	السورة ونوعها		تفسيرها وملخصها	مجال إنساني	توزيع اللون على مجالات الحياة		
	رقمها	مكية			منبئية	نباتي	البلاغة والنحو
وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء؛ فأخرجنا منه خضراً؛ نخرج منه حاماً زاكاً؛	99	الأنعام	قدرة الخالق عز وجل على إذ زال الماء من السماء، فيخرج به نبات كل شيء، ويخرج منه خضراً.	ماء السماء	الذي أذزل... فأخرجنا	التفات عن الغيبة. والغاية من الالتفات تطرية نشاط السامع وإيقاظه للإصغاء إليه من اجراءه على أسلوب واحد.	تف سير الجلال بين: ط1، ص140 الزمخشري: الكشاف، في تفسيره الفاتحة 2-5 د. أحمد دمطوب، ج295/1
الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أتم منه توقدون»	80	يس36	إثبات قدرة الخالق على كسر نواميس قوانين الطبيعة إذا شاء فيجعل نارا من الماء.	قدرة الله تعالى على أن ينقذ من الأشجار الأخضر	الآية "جعل لكم من الشجر الأخضر نارا"	قدرة الله في جملة خبرية على أن يذم من المتضادات ما أن يلغي نواميس الطبيعة أو يخرق أنظمتها، فيجعل من الماء (الشجر الأخضر نارا مفعول به ثانياً لجعل، ومثلها التلج والذار في التلجات وغيرها في عصرنا، وكذلك يحيي من كان رميماً	قدرة الله في جملة خبرية على أن يذم من المتضادات ما أن يلغي نواميس الطبيعة أو يخرق أنظمتها، فيجعل من الماء (الشجر الأخضر نارا مفعول به ثانياً لجعل، ومثلها التلج والذار في التلجات وغيرها في عصرنا، وكذلك يحيي من كان رميماً
إني أرى سبع بقرات سمان: يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات»	43	يوسف12	رؤيا ملك مصر، إبان وجود يوسف في السجن سبع سنين	سبع سنبلات خضر وأخر يابسات	سبع سنبلات خضر وأخر يابسات (طباق) جمع سمين وعجفاء	دلّت كلمة آخر على أن السنبلات كانت سبعاً كالأخضر دون تصريح بالعدد لأن الكلام يبنى على انصبابه على هذا العدد. أبرز المراجع: تف سير الكشاف ج258/2 محمدي الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، مجلد 507/4-508 د. أحمد نوفل: سورة يوسف، دراسة تحليلية، عمان، دار الفرقان، ط1، 1989، ص402 وما بعدها	آخر: صفة معنولة عن وزن آخر وقد أفاد المفسرون من هذه الرؤيا أن دابير اقتصادية لمدة خمس عشرة سنة والرؤيا غريبة وقد يراها الكافر بالتنبيه والإثارة، تعدد سبع التأكيد، وإشارة إلى الثروة الحيوانية والزراعية ومدى ارتباطهما معا وعبر باله ضارح أرى لاستحضار الصورة، ثم تداعي المعنى برؤيا الملك فتذكر ساقى الملك بتعبير يوسف الذي نسيه، فعاد إليه ليقتض الرؤيا ويعبرها
افتناني سبع بقرات سمان: يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات»	46	يوسف12	تداعي المعنى فتذكر الذي نجا من السجنين ما كان أوصاه به يوسف، فناد إليه ليفسر الرؤيا. كالتقمع من الداخل	ياكلهن: مجاز، والرؤيا علمية بالقلب تختلّف عن الرؤيا المصرية، كما اتفق عليها بعض العلماء			
ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق»	31	الكهف18	لباس المؤمنين يوم القيامة ثياب خضر رقيقة كالقمصان من الداخل وغلظتة من الخارج. وكلا اللباسين أخضر	لباس المؤمنين أخضر داخلها وخارجها	"ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق"	برجل المؤمنون في ألوان من الحرير الأخضر، رقيق من الداخل وهو السندس وغلظتة من الخارج وهو الإستبرق. وهذا ترغيب للمؤمنين، وتشويق لهم	تفسير الطبري ج160، القرطبي ج398/10، وصفة التفاسير مجلد2/191

⁽¹⁾ قرانيا، ظاهرة اللون في القرآن الكريم، ص89

76	عَمَّكَيْنِ عَلَى رِفْرِفٍ خَضِرٍ وَعِيقَرَى حَسَانٍ	الرحمن 55	جملة خبرية تنبئ عن حال المؤمنين وهم منكذون على مسدائد في رياض الجنة، خضر موشاة	حال المؤمنين على وسائد موشاة لباس المؤمنين يوم القيامة	متكذبن: حال حذف عاملاً أي رِفْرِفٍ : بسطة ووسائد	بحسن مآب من منحى نفسي يتنعون، أو نصب على الفتح واقتصر عليه الزمخشري، والعقري: طنائف	مجدبي الدين الإدريش: إع راب القرآن الكريم وبيان ٤، مجلد 419/9- 420، وثقة سير الجلائين ص534
21	عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ سُنْدُسٍ خَضِرٍ وَإِسْتَبْرَقٍ	الإنسان 76	سندس خضر، وعاليهم وإستبرق	أجود القراءات قراءة أبي عمرو ومن معه الذي رفع خضر لأبي صفة مجموع، وتعد القراءات عاليهم " وعاليهم" فالأبي قرأ بها نافع وحمزة وإعراجه أمة دا أو خدير ثياب وقراء الناقون "عاليهم" يفتح الباء على الحال، وإستبرق بالرفع والخفض.	راجع الأمام أبو زرعة: حج القراءات، ص740-739		

الأسود

هو ثالث الألوان تكررًا في القرآن الكريم وورد اللون الأسود بمشتقاته سبع مرات في القرآن الكريم؛ مفرداً، وجمعاً، ومعرفاً، ومنكراً، فقد ذكر في سورة آل عمران في الآية (١٠٦) مرتين، وفي البقرة الآية (١٨٧)، وفي الآية (٢٧) من سورة فاطر، وفي سورة النحل آية (٥٨)، وفي سورة الزمر آية (٦٠)، وقد أرفقنا جدولاً في نهايته تدليلاً. واللون الأسود له عدة دلالات منها معادلته:

- 1- ظلمة الليل.
- 2- ويعادل لون وجوه أهل النار من العصاة والكفار والكذابين على الله.
- 3- ويعادل الكرب والحزن والهم .
- 4- يعادل اليبوسة والفناء.

واللون الأسود من منظور نفسي يرمز إلى الحزن حيناً عند معظم الشعوب، ويحمل إحساساً بالوحشة، والكآبة، والهم، والغم، وحيناً لا يعني الكآبة، والحزن؛ لأن به ترتاح النفوس، وتلجأ إليه من عناء الكد، والتعب، والإرهاق الذي يصاحبها في النهار، وتسكن فيه بعد يوم مليء بالنشاط، والحركة، واستعمله القرآن بمعنى الكآبة، والهم، والغم.

1. ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَحْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١﴾. وقد أشرنا إلى تفسير هذه الآية في اللون الأبيض بمؤمل هذا البيان الواضح يبين الله آياته وأحكامه للناس ؛ كي يتقوه

¹ (البقرة: 187

ويخشوه⁽¹⁾. والخيط الأبيض: الفجر الكاذب وهو بياض يلوح في الأفق كذنب السرحان⁽²⁾، والخيط الأسود: سواد يأتي بعد البياض الأول فينسخه تماماً⁽³⁾.

2. ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾⁽⁴⁾

يوم القيامة تبيضُ وجوه أهل السعادة الذين آمنوا بالله ورسوله، وامتثلوا أمره، وتسوؤ وجوه أهل الشقاوة ممن كذبوا رسوله، وعصوا أمره. فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم توبيخاً: أكفرتم بعد إيمانكم، فاخترتم الكفر على الإيمان؟ فذوقوا العذاب بسبب كفركم.

3. ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾⁽⁵⁾

أي يصبح متغيراً تغير المغتم، يقال لمن لقي مكروهاً قد اسود وجهه غماً، وحزناً، قال الرازي: وقد جعل السواد كناية عن الغم، وذلك لأن الإنسان إذا قوي فرحة انشرح صدره، وانبسط روح قلبه من داخل القلب، ووصل إلى الأطراف، ولاسيما إلى الوجه لما بينهما من التعلق الشديد، وإذا وصل الروح أشرق الوجه وتلألأ واستتار، أما إذا قوي غم الإنسان احتقن الروح في باطن القلب، ولم يبق منه أثر قوي في ظاهر الوجه، وإشراقه، ومن لوازم الغم كمودة الوجه، وغبرته، وسواده⁽⁶⁾

فإنه " إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا " أي كئيباً من الهَم " وَهُوَ كَظِيمٌ " ساكت من شدة ما هو فيه من الحزن⁽⁷⁾.

¹ (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة البقرة، آية 187

² (السرحان الذئب والجمع سراح، ابن منظور، لسان العرب، باب (سرح).

³ (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة البقرة.

⁴ (آل عمران: 106

⁵ (النحل: 58

⁶ (الرازي، محمد بن أبي بكر، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج20، 1992، ص45

⁷ (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تفسير سورة فاطر

4. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ

مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾⁽¹⁾

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسقينا به أشجاراً في الأرض ، فأخرجنا من تلك الأشجار ثمرات مختلفاً ألوانها ، منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر وغير ذلك؟ وخلقنا من الجبال طرائق بيضاً وحمراً مختلفاً ألوانها وخلقنا من الجبال جبالات شديدة السواد .

5- ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾⁽²⁾

بمعنى يلزم القيامة ترى هؤلاء المكذبين الذين وصفوا ربهم بما لا يليق به ، ونسبوا إليه الشريك والولد وجوههم مسودة . أليس في جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله، فامتنع من توحيده وطاعته؟ بلى .

6- ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾⁽³⁾

بمعنى بشر أحدهم بالأنثى التي نسبها للرحمن حين زعم أن الملائكة بنات الله صار وجهه مسوداً من سوء البشارة بالأنثى ، وهو حزين مملوء من الهم والكرب. (فكيف يرضون الله ما لا يرضونه لأنفسهم؟ تعالى الله وتقدس عما يقول الكافرون علواً كبيراً). والجدول(3) يلخص ورود اللون الأسود في القرآن الكريم، للمزيد انظر الملحق (أ).

¹ (فاطر: 27)

² (الزمر: 60)

³ (الزخرف: 17)

جدول (3)

دلالات اللون الأسود في القرآن الكريم

الآية	السورة ونوعها	تفسيرها وملخصها	مجال إنساني	توزيع اللون على مجالات الحياة	مراجع وملاحظات
فَأَمَّا الَّذِينَ آسَدُوا وُجُوهَهُمْ أَكْرَمَ بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ	106 مكية	يوم القيامة تصود وجوه المذمومين كما هي عند ابن عباس والكافرين عند غيره	تسود وجوه الكافرين والمذمومين يوم القيامة	توزيع اللون على مجالات الحياة	تفسير الطبري، 351/2 فيه كلمة مقدره مفهومة من السياق وهي في آية م أكفرتم؟ ولا بد أن يقدر جواب أمّا الشرطية بالفاء فلما أسقطوا الجواب سقطت الفاء معه، وانظر محيي الدين درويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، مجلد 15/1-16
تَسْوِمُ تَبِيضَ وُجُوهِهِمْ وَتَسْوِدُ وُجُوهَهُمْ	106 مكية	تبييض وجوه أهل السنة وتسويد وجوه المذمومين كما يرى الحسن البصري وتبييض وجوه المؤمنين فسرت في مادة أبيض كما أسلفنا	تبييض وجوه أهل السنة وتسويد وجوه المذمومين	تضاد (طباق) كثر بهما عن فريقين من الناس هما أهل الحق بيض اللؤلؤ ونذ صاعته وأهل الباطل بسواد الليل	بعضهم يعد هذا من التديبج لأنه يذكر ألوانا يقصد بها الكتابة والتورية عن مدح أو وصف وهذا كتابة عن فريقين (أحمد د مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية، ج 117/2) "نزلت هذه الآية بسبب صرامة بن قيس. انظر: الشيخ الثعالبي، عبدالرحمن بن مخلوف: أواخر الحسان في تفسير القرآن، ج 143/1
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَقْرَبُوا مَنَاسِكَتَ اللَّهِ وَإِن لَّمْ يَكُن لَّكُمُ الْإِيمَانُ لَمَنَاسِكَةٌ لِّلرَّحْمَنِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ	27-28 فاطر	استفهامية للتدبير في قدرة الله تعالى على إبداء في تنوير آل وان الناس؛ فالأجد اش سود والروم بيض والعرب بينهما	قدرة الله تعالى على إبداء في تنوير آل وان الناس؛ فالأجد اش سود والروم بيض والعرب بينهما	غرابيب سود، بمعنى سود غرابيب لأن توكيد الال وان لا يقدّم، فالغرابيب هو شديد السواد التفتت عن الغيبة إلى التكلم بـ"فا" التعظيم تديبج، لأن الخالق أراد أن يصد به الكتاب والتورية عن الظرف البيضاء المسلوكة ودونها الحراء والسوداء	المعجم الجامع لغريب مفردات القرآن الكريم: ابن عباس وابن قتيبة ومكي بن أبي طالب وأبو حنبل، ترتيب ابن الشيخ عبد العزيز السيروان، ص 299 (سود) وجدد (94)
وَإِذَا بَشَّرْنَا أَحَدَهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ	58 النحل	يأنف الجليلي من هم تديبه بمولودة أنثى، فيسكت حزنا	يأنف الجليلي من هم تديبه بمولودة أنثى، فيسكت حزنا	ظل وجهه بمعنى صارم سودا أو كظيم متغيرا تغير مقم	تفسير الجلالين: دار ابن كثير ط 11، ص 273
وَإِذَا بَشَّرْنَا أَحَدَهُم بِالذَّكَارِ لَعَلَّ يَسْرِىٰ عَلَيْهِمْ مَثَلًا فَزَعَوْا بِرُسُلِنَا وَظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ	17 الزخرف	يأنف الجليلي من هم تديبه بمولودة أنثى، فيسكت حزنا	يأنف الجليلي من هم تديبه بمولودة أنثى، فيسكت حزنا	بمضربا مثلا للرحمن مثلا	المشهد بصري في حالة المضارعة وقد دتكون الرؤية قلبية وعندنا تأخذ مغوليين
يَوْمَ يُنَادِيهِمْ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مِمَّا نَدَّبَكُم بِهِ وَيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ	60 الزمر	يوم القيامة تصود وجوه من أشركوا بالله	يوم القيامة تصود وجوه من أشركوا بالله	"ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة"	المشهد بصري في حالة المضارعة وقد دتكون الرؤية قلبية وعندنا تأخذ مغوليين

الأصفر:

وهو رابع الألوان تكررًا في القرآن الكريم ، وقد ذكر خمس مرات في خمس

آيات وله بعض الدلالات، وهي:

1- إدخال السرور على من ينظر إلى هذا اللون إذا كان في الحيوان.

2- الإفساد والدمار إذا كان في الريح .

3- الفناء واليبوسة والتهشم إذا كان في الزروع.

وقد ورد في لسان العرب أن الصُّفْرَةَ من الألوان معروفة تكون في الحيوان والنبات وغير ذلك ممَّا يقبلُها ، وحكاها ابن الأعرابي في الماء أيضاً والصُّفْرَةَ أيضاً السَّوَادَ وقد اصْفَرَّ واصْفَارَ وهو أَصْفَرُ وصَفْرُهُ غيرُهُ.(1)

والأصفر هو ثالث الألوان الحارة، بعد الأحمر والبرتقالي، وهو لون التتوير، والحكمة والحماسة، والتفاؤل، والأمل، والمرح، والوضوح، والثقة، يوحى بالقوة، ويدعم الثقة بالنفس، ويفيد الحياة، وعيش اللحظة ذهنياً، ويمثل التركيز، والذكاء، ويساعد في الذاكرة..(2)، وأيضاً هو رمزُ الشمس، والذهب، ويثير في الإنسان انطباعاً إيجابياً، وساراً، حتى قيل إنَّ ابن عباس كان يحضُّ على لباس النُّعال الصفر، وكان يقول: الصفرة تُسرُّ النفس(3)، ومثل ذلك ما رواه الطبرسي عن علي -كرم الله وجهه - أنه كان يرغب في النعال الصفر ويقول: " من لبس نعلا أصفر قلَّ همُّهُ "، ومثله عن الصادق أنه قال: من لبس نعلا صفراء، لم يزل مسروراً حتى يبليها(4)، وفي هذا السياق فقد ورد ذكر الأصفر في القرآن الكريم في معرض الحديث عن بقرة بني إسرائيل، وما يشعرُ به الناظر إليها؛ من غبطة، وبهجة، وسرور.

قال الله تعالى:

1. ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾(5)

وورد في الصحاح في شرح معنى فاقع: "الفقوعُ: مصدرُ قولك أصفر فاقعُ، أي شديد الصفرة وقد فقَع لونه يَفْقَعُ وَيَفْقَعُ فُقوعاً . وبقرةٌ صفراءُ فاقعُ لونها، أي لونها فاقعٌ(6)".

1 (ابن منظور، لسان العرب، باب (صفر).

2 (الراشد، صلاح، (2005). مقال عن الألوان، ص6.

3 (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص451

4 (الطبرسي، محمد، مجمع البيان، (د.ت). دار مكتبة الحياة، بيروت، ج ١، ص ٣٠٢

5 (البقرة: 69

6 (الرازي، مختار الصحاح، باب (صفر)

ويقول الدكتور محمد الأسدي موضحاً الإعجاز اللوني في هذه الآية : عندما جاء الجواب كان تأكيداً على كلمة لون مرتين دليل على أن الصفار لون، وذلك من قوله - تعالى - : "صفراء فاقعٌ لونها"، وما كان الجواب (صفراء) فقط، وهذه مسألة أضف إلى ذلك مسألة ثانية : أن الله تعالى لم يخلق الألوان للتمييز بين شيء من غيره فحسب، وإنما للتمتع بالألوان، فالألوان تسرُّ وتبهجُ بدليل قوله - تعالى - : "تسرُّ الناظرين"⁽¹⁾

وليس لونُ البقرة الأصفرُ لإدخال البهجة، والسرور على الناظر فحسب، بل هو دليل على صحّة البقرة، وسلامتها من العيوب، فقد قررت أصول علم الطب البيطري، أن خيرَ الأبقار وأفضلها، هو ما كان لونها شديداً الصفرة في صفاء (فاقع)، وأنه على قدر صفاء اللون، وسلامة الأسنان تكون صحة البقرة ."⁽²⁾ على أن اللون الأصفر لا يعكس هذا الانطباع على كلِّ حال، فهو كغيره من الألوان، يختلف بحسب الحال التي يوجد عليها، ولذا أسند الفعل تسرُّ إلى ضمير البقرة لا إلى اللون، فلا يقتضي أن اللون الأصفر - كما يقول ابن عاشور مما يسرُّ الناظرين دائماً⁽³⁾، كذلك اصفرار الجسم من الآدمي يشي بعدم الصحّة.

ويقول محمد قرانيا: وقد ارتقى مدلول هذا اللون إلى أرقى ألوان الجمال اللوني، حيث وصف الله تعالى به البقرة الصفراء الفاقع لونها بأنها تسرُّ الناظرين إليها، وهذا يعني أن أجملَ الألوان في البقر هو الأصفر، وقد يجد فيه الجزّارون أطيبَ اللحم بالنسبة للبقر الذي تلون جلدُه بغير هذا اللون⁽⁴⁾.

ويقول القرطبي في معرض تفسيره لهذه الآية: واختلف أهل التأويل في معنى قوله: {صفراء} فقال بعضهم معنى ذلك سوداء شديدة السواد . ذكر من قال ذلك: "حدثني أبو مسعود إسماعيل بن مسعود الجحدري، قال: ثنا نوح بن قيس، عن محمد بن سيف، عن الحسن : {صفراء فاقع لونها} قال: سوداء شديدة السواد . حدثني

¹ (الأسدي، الإعجاز اللوني في القرآن الكريم، ص7

² (الشعيلي، الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، ص69

³ (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص535

⁴ (قرانيا، ظاهرة اللون في القرآن الكريم، ص89

أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبي زائد ة، والتمثّق بن إبراهيم قالاً : ثنا مسلم بن إبراهيم، قال، ثنا نوح بن قيس، عن محمد بن سيف، عن أبي رجاء، عن الحسن، مثله. وقال آخرون: معنى ذلك: صفراء القرن والظلف. قال أبو جعفر : وأحسب أن الذي قال في قوله : {صفراء} يعني سوداء، ذهب إلى قوله في نعت الإبل السّد ود: هذه إبل صفر، وهذه ناقّة صفراء؛ يعني بها سوداء. وإنما قيل ذلك في الإبل لأن سوادها يضرب إلى الصفرة ، وذلك إن وصفت الإبل به فليس مما توصف به البقر، مع أن العرب لا تصفُ السّوادَ قَوْلُوع، وإنما تصف السواد إذا وصفته بالشدة بالحلوكَة ونحوها، فتقول : هو أسودٌ حالِك وحانِك وحلكوك، وأسود غريب ودجوجي، ولا تقول : هو أسود فاقع، وإنما تقول هو أصفر فاقع. فوصفه إياه بالفقوع من الدليل البين على خلاف التّأويل الذي تأوله قوله : {إنها بقرة صفراء فاقع} المتأول بأن معناه سوداء شديدة السّوا دالقول في تأويل قوله تعالى : {فاقع لونها}. يعني خالص لونها، والفقوع في الصفر نظير الذُّ صوع في البياض، وهو شدته وشفاءً يقال ابن زيد في قوله : {فاقع لونها} قال: شديدة صفرتها يقال منه: فقع لونه يققع ويققع فقعاً وفقوعاً، فهو فاقع، كما قال الشاعر:

حَمَلْتُ عَلَيْهِ الْوَرْدَ حَتَّى تَرَكْتُهُ ذَلِيلًا يَسِفُ التَّرْبَ وَاللَّوْنَ فَاقِعًا.(1)

2. ﴿وَلئنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾(2)

القول في تأويل قوله تعالى : {ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفراً لظلوا من بعده يكفرون} يقول تعالى ذكره : لئن أرسلنا ريحاً مُصْفِدَةً ما أنبتة الغيث الذي أنزلناه من السماء، فرأى هؤلاء الذين أصابهم الله بذلك الغيث الذي حييت به أرضهم، وأعشبت ونبتت به زروعهم، ما أنبتته أرضهم بذلك الغيث من الزرع مصفراً، قد فسد بتلك الريح التي أرسلناها، فصار من بعد خُ صُرْتِهِ مصفراً، لظلوا من بعد استبشارهم وفرحتهم به يكفرون بربهم.(3)

¹ (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة البقرة ، آية 69

² (الروم: 51

³ (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة الروم ، آية 51

3. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾⁽¹⁾

القول في تأويل هذه الآية، الموجهة لنبيه محمد ﷺ: {ألم تر} يا محمد {أن الله أنزل من السماء ماء} وهو المطر {فسلكه ينابيع في الأرض} يقول: فأجراه عيوننا في الأرض؛ وأحدها ينبوع، وهو ما جاش من الأرض . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ثم أنبت بذلك الماء الذي أنزله من السماء فجعله في الأرض عيوناً ثم زرعاً {مختلفاً ألوانه} يعني: أنواعاً مختلفة من بين حنطة وشعير وسمسم وأرز، ونحو ذلك من الأنواع المختلفة {ثم يهيج فتراه مصفراً} يقول ثم يبس ذلك الزرع من بعد خضرته، يقال للأرض إذا يبس ما فيها من الخضر ونوي: هاجت الأرض، وهاج الزرع. قوله: {فتراه مصفراً} يقول: فتراه من بعد خضرته ورطوبته قد يبس فصار أصفر، وكذلك الزرع إذا يبس أصفر ثم يجعله حطاماً {والحطام: فتات التبن والحشيش، يقول ثم يجعل ذلك الزرع بعد ما صار يابسا فتاتا متكسرا . وقوله: {إن في ذلك لذكرى لأولي الأبواب} يقول تعالى ذكره: إن في فعل الله ذلك كالذي وصف، لذكرى وموعظة لأهل العقول يتذكرون به، فيعلمون أن من فعل ذلك فلن يتعزَّ عليه إحداثُ ما شاء من الأشياء، وإنشاء ما أراد من الأجسام والأعراض، وإحياء من هلك من خلقه من بعد مماته ، وإعادته من بعد فنائه، كهيئته قبل فنائه، كالذي فعل بالأرض التي أنزل عليها من بعد موتها الماء، فأنبت بها الزرع المختلف الألوان بقدرته⁽²⁾.

ويدل الاصفرار على نهاية مرحلة حياة النبات، وهو تلميح لحياة الإنسان بدليل الآية الكريمة التالية الدالة على قدرة الله تعالى على إحياء الأموات.

¹ (الزمر: 21)

² (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة الزمر، آية 21)

4. ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿١﴾

القول في تأويل قوله تعالى في هذه الآية: يقول تعالى ذكره: اعلموا أيها الناس إن متاع الدنيا المعجلة لكم، ما هي إلا لعب ولهو تتفكهون به، وزينة تتزينون بها، وتفخر بينكم، يلفخر بعضكم على بعض بما أو تى فيها من رياشها وتكاثر في الأموال والأولاد {، ويباهي بعضكم بعضا بكثرة الأموال والأولاد {كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج {يقول تعالى ذكره: ثم يببس ذلك النبات {فتراه مصفرا { بعد أن كان أخضر نضرا. قوله: {ثم يكون حطامًا {يقول تعالى ذكره: ثم يكون ذلك النبات حطامًا، يعني به أنه يكون نباتا يابساً مت هشما {وفي الآخرة عذاب شديد {يقول تعالى ذكره: وفي الآخرة عذاب شديد للكفار {ومغفرة من الله ورضوان { لأهل الإيمان بالله ورسوله (2)، واللون الأصفر يتوزع على الحيوان والنبات، ونار جهنم، أما على الحيوان فيشمل الجمال مشبهاً به شرر نار جهنم بالجماليات جمع الجمع الصفر.

5. ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣﴾

وقد شبه الله شرر جهنم بالجمال الصفر، والمقصود من التشبيه هنا العظم، والتتابع، فالشرر يتتابع في حجم البيت من الحجر، فإذا تتابع، ظهر كأنه جمال صفر ترتع هنا وهناك (4). وهذا الوصف وإن كان المقصود به شرر النار، لكننا لو غضضنا الطرف عن الموصوف، ونظرنا إلى صورة الإبل الصفر، وهي ترعى هنا وهناك، لرأينا أن الصورة لا تخلو من مظهر جمالي، إذ الإبل الصفر من أجمل الإبل، وأحبها إلى العرب (5)، ولكنها وردت هنا مشبهاً به للترهيب.

¹ (الحديد: 20

² (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة الحديد، آية 20

³ (المرسلات: 33

⁴ (انظر: الزمخشري، الكشاف، ج: 6، ص 19

⁵ (الشعيلي، الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، ص 70

(كأنه جمالة) جمع جمالة جمع جمل وفي قراءة جمالة (صفر) في هيئتها ولونها والعرب تسمى سود الإبل صفرا ؛ لشوب سوادها بصفرة، فقليل صفر في الآية بمعنى سود، وقال الفراء في قوله تعالى كأنه جمالاتٌ صُفْرٌ قال الصُّفْرُ سُودُ الإِبِلِ لا يُرَى أَسْوَدٌ مِنَ الإِبِلِ إِلاَّ وَهُوَ مُشْرَبٌ صُفْرَةً ولذلك سمَّت العرب سُودَ الإِبِلِ صُفْرًا سَمَّوا الطُّبَّاءَ أَدْمًا لِمَا يَعْلُوها مِنَ الظُّلْمَةِ فِي بَيَاضِها كما هي عند أبي عبيد: الأصفر الأسود⁽¹⁾.

"واللون عامة يتغيّر دلالة؛ فرحاً أو ترحاً من منظور نفسي فيها هو محمد قرانيا يقول: وإذا كانت الصفرة في البقر تسر العين، فإنها في الآيات الباقية، تدلّ على المرض والموت ونهاية الحياة، وقد استفاد المتخصصون في علم الجمال، وفيزيولوجيا اللون من هاتين الخصيقتين (جمال المنظر، والدلالة الحزينة)، وطبقوهما على كثير من الدراسات المعاصرة، لذلك قالوا: إذا كان الأصفر هو لون الذهب والشمس، والغروب الجميل فإنه أيضاً لون الخريف، نهاية الحياة، ولون الصحارى القاحلة، ولون الجسم مع الأمراض المزمنة، وغير ذلك من الموحيات المؤثرة التي تثير الأسى في النفس"⁽²⁾. أمّا قوله: {جمالات صفر} فقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم : معنى ذلك: كأن الشرر الذي ترمي به جهنم كالقصر، جمالات سود أي أيق سود؛ وقالوا : الصفر في هذا الموضع، بمعنى السود. قالوا: وإنما قيل لها صفر وهي سود، لأن ألوان الإبل سود تضرب إلى الصفرة، ولذلك قيل لها صفر، كما سميت الطباء أدما، لما يعلوها في بياضها من الظلمة. وقال: هي الإبل. قال: ثنا مهران، عن سعيد، عن قتادة {كأنه جمالات صفر} قال كالنوق السود الذي رأيتم . وقال آخرون بل عني بذلك : قلوب⁽³⁾ السفن، شبه بها الشرر. حدثنا ابن حميد، قال : ثنا مهران، عن سفيان، عن عبد الرحمن بن

¹ (ابن منظور، لسان العرب، باب صفر، فالأصفر عنده الأسود.

² (قرانيا، ظاهرة اللون في القرآن الكريم، ص90

³ (ورد في ابن منظور، لسان العرب، في باب (فلس) أن القلُسُ حَبْلٌ ضَخْمٌ مِنْ لَيْفٍ أَوْ خُوصٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، مِنْ قُلُوسِ سَفُنِ الْبَحْرِ.

عابس، قال: سمعت ابن عباس سئل عن {جمالات صفر} فقال: حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال.⁽¹⁾

ويلخص معنى اللون الأصفر توزيعه على الحيوان كالبقرة والجمال، والنباتات المصفر بريح، واختلاف دلالاته من منظور نفسي، فالبقرة صفراء وجميلة، لكنها غالية الثمن، والجمال مشبهة كشرار جهنم، والنبات مصفر، عقوبة الله بريح تجففه فيها، وهو مصفر كمرحلة نهائية لدورة حياته، تدليلاً على قدرة الله على إعادة الخلق كما بدأه، فسبحانه - تعالى - القادر على الخلق والأماتة والإحياء من جديد، والجدول (4) يبين دلالات اللون الأصفر في الآيات الكريمة . وللمزيد انظر الملحق (أ).

الجدول (4)

دلالات اللون الأصفر في القرآن الكريم

الآية	السورة ونوعها رقمها	تفسيرها وملخصها مكية	توزيع اللون على مجالات الحياة المدنية	توزيع اللون على مجالات الحياة			التوضيح
				مجال إنساني	حيواني	نباتي	
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين	69	البقرة 2	مداورة بين بني إسرائيل وموسى لتحديد لون البقرة لويذبحها لاس تنطاق القتل بعد أن يضربوه ببعض لحمها	وصف دقيق لبقرة صفراء فاقع لونها، فاشتط صاحبها وكان يتيما - بثمنها	شرر النار بحجم الجمال الصفر	فاقع لونها : شديد الصفرة	توكيد أصدق فاقع، وعند الزمخشري عن الحسن البصري أنها شديدة السواد مستعار من صفة الإبل، غير أن نعت لونها الأصفر بفاقع يجعلنا على لونها الأصفر لأن الفقوع خاص بالصفرة وه ذا رأي البصري في تفسيره لأية جمالات صفر، ويرى الجاحظ أن الصفرة حتى اشتدت صارت حمرة، ومتى اشتدت صارت سواد
"إنها ترمي بشرك كالفقر كأنه جمالت صفر"	33	المرسلات 77	ترهيب للمتلقى بأن شرر نار جهنم بحجم الجمال الصفر	شرر جهنم كالجمال الصفر	كأنه جمالت صفر: تشبيه مرس ل مفسل لحذف وجه الشبه وفي التشبيه بالجمالات من ثلاث من جهة العظمة والارتفاع والصفرة	جمالات صفر: تشبيه مرس ل مفسل لحذف وجه الشبه وفي التشبيه بالجمالات من ثلاث من جهة العظمة والارتفاع والصفرة	جمالات صفر: تشبيه مرس ل مفسل لحذف وجه الشبه وفي التشبيه بالجمالات من ثلاث من جهة العظمة والارتفاع والصفرة
ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا ثم يجعله حطابا	51	الروم 30	لئن أرسل الله ريحا ضارة على الزرع بعد خضرته فإنها تقسه ويصفر، فيكفرون	يصف النباتات ويفسد بفعل ريح ضارة إن أرسلها الله	يصف النباتات ويفسد بفعل ريح ضارة إن أرسلها الله	ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا	لام موطنه للقسم، وفي الآية إيجاز حذف تقديره لئن أرسلنا على الزرع بعد خضرته ونموه ريحا ضارة مفسدة، فرأوا الزرع مصفرا من أثر الريح فجمد دواء، والجملة شرطية

¹ (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة المرسلات، آية 33

اللون الأزرق

واللون الأزرق له بعض الدلالات:

1- لون وجوه الكافرين عند الحشر من شدة أهوال ذلك اليوم.

2- الخوف والرغبة والوجل .

وهو خامس الألوان تكرر في القرآن الكريم وقد ذكر مرة واحدة، وقد ورد في وصف المجرمين حين يحشرون يوم القيامة، وقد توزع على عيون أولئك المجرمين فأصبحت زوقها نلاحظ أن هذا اللون قد دل على ناحية سلبية، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾⁽¹⁾، أمّا الألوان الأخرى فليس مجالاً للدرس، كلون السماء التي ذكرت مرات لا مجال لذكرها هنا، بل تحتاج إلى دراسة مستقلة، والجدول (5) يبين اللون الأزرق في الآية الكريمة، للمزيد انظر الملاحق.

الجدول (5)

دلالات اللون الأزرق في القرآن الكريم

الآية	رقمها مكية	السورة ونوعها	تفسيرها وملخصها	البلاغة والنحو	التوضيح	مراجع وملاحظات
يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين	102 طه	سورة طه	يحشر المجرمون يوم القيامة زرق العيون	ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً	عند الزمخشري قولان : أحدهما أن الزرق أبيض شيء من ألوان العيون إلى العرب لأن الروم أعداؤهم زرق العيون والثاني أن المراد العمي لأن حدق من يذهب نوره تزرق وكان الجاحظ أشار في كتابه الحيوان إلى تشاؤم العرب من زرق العيون قبل وعند ابن الجوزي بيض العيون من العمي أو زرقاً من شدة العطش	الزمخشري.(انظر: الزمخشري: الكشف ج4/331، الجاحظ: الحيوان ج5/331، ابن الجوزي: زاد المسير ج5/221 (سيد قطب: في ظلال القرآن، ج4/2253)

الأحمر

واللون الأحمر له بعض الدلالات :

1- لون قطع بعض الجبال .

2- ألوان الثمار بالأشجار .

وهو خامس الألوان تكرر في القرآن الكريم متساوياً مع اللون الأزرق في عدد مرات ذكره وقد ذكر مرة واحدة وقد ورد في وصف الجبال، فيقول تعالى :

¹ (طه: 102)

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾⁽¹⁾. والجدول (6) يبين ذلك، للمزيد انظر الملاحق.

الجدول (6)

دلالات اللون الأحمر في القرآن الكريم

اللون	الآية	السورة ونوعها		توزيع اللون على مجالات الحياة			
		رقمها	مكية	مدنية	تفسيرها وملخصها	نباتي	حيواني
الأحمر	ومن الجبال جدد	27	فاطر	سبق شرحها في	مختلف		اختلاف ألوان
	بيض وحممر مختلف ألوانها وغرابيب سود	35		مادة مختلف ألوانها	ألوانها		الجبال من بيض وحممر وسود

والجُدَّةُ الطَّرِيقَةُ في السماء والجبل ، وقيل الجُدَّةُ الطَّرِيقَةُ والجمع جُدَدٌ ، وقوله عزَّ وجلَّ جَبِيضٌ وَحُمْرٌ أَي طرائق تخالف لون الجبل ، ومنه قولهم ركب فلان جُدَّةً من الأمر إذا رأى فيه رأياً قال الفراء الجُدَّةُ الخِطُّ والطُّرُقُ تكون في الجبال خِطَطٌ بِيضٌ وَسُودٌ وَحُمْرٌ كَالطُّرُقِ واحداً جُدَّةً⁽²⁾

والعبارة تصف مظهراً من مظاهر الجمال الحسي، وهو اختلاف ألوان الجبال أو حتى الجبل نفسه تختلف ألوان أجزائه بين أبيض وأحمر وأسود، إلا أن الملاحظ أن الأحمر نفسه ليس على درجة واحدة بل مختلف الدرجات وكأنه نفسه ألوانا كما تشير الآية وحممر مختلف ألوانها. فهو بهذا التدرج الواسع يضيف على الشكل جمالا ومتعة، وإذا علمنا أن الأصل في تكوّن معظم الجبال هو ما تقذفه البراكين من حمم منصهرة فلا يبعد أن اللون الأحمر وتدرجه في الجبال له علاقة بأصل تكوينه، وهو الحمم البركانية والله أعلم، وأيا كان أصله فإن اللون الأحمر قابل للتدرج في الشدة أكثر من غيره مما يضيف على المنظر جمالا وبهاء وحسنا⁽³⁾.

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأسقى به أشجاراً في الأرض، فأخرجنا من تلك الأشجار ثمرات مختلفاً ألوانها ، منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر وغير

¹ (فاطر: 27)

² (ابن منظور، لسان العرب، باب (جدد))

³ (الشعيلي، الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، ص72)

ذلك؟ وخلقنا من الجبال طرائق بيضا وحمرا مختلفا ألوانها ، وخلقنا من الجبال جبالا شديدة السواد.

ولعلّ نظرة فاحصة في الجداول التي ضمت ترتيب الألوان تنازليا، أن تكشف أمورا أبرزها:

أولا: أن الألوان اكتتفت السور المكية بنسبة (31:8) قياسا بالمدينة، ما يوحي ببروز اللون في المرحلة الثالثة (الختامية) في مكة المكرمة، إثر نزول اللون في كل من سور الصافات⁽¹⁾، والزخرف⁽²⁾، والدخان⁽³⁾، والكهف، على ما يؤخذ به في المنهج التاريخي الزمني في ترتيب السور المكية والمدينة .

ثانيا: إذا أخذنا - توقيفياً - بترقيم السور المباركة فنلاحظ اللون في الصافات (المكية) هذه في الآيتين (46 و 49) قد أدرجتا في توزيعات اللون الأبيض، نلاحظ كأسا بيضاء من خمرة تسرّ الشاربين، ويلتذون بها، كما نلاحظ بعين الرؤية حورا بيضا كبيض عالم مكنونا في أداحيه، رقة ونعومة ونقاء، و ما يُحمَلُ على تشويق المتلقي، سواءً أكان كافرا أم مؤمنا، ليلتذ بهما روحاً وجسداً، فتكمل دائرة المتعة لديكن وفي الحياة الدنيا أن يكون في الدار الأخرى، ترغيباً للناس للإيمان بالله عزّ وجلّ واليوم الآخر، أمّا الزخرف⁽⁴⁾ التي ذكر فيها اللون الأسود فتتقلنا إلى مشهد جاهلي، كان يكتتب الجاهلي فيه لتبشيره بمولودة أنثى؛ بما كان ضربها الله - عزّ شأنه - مثلاً. أمّا في الدخان⁽⁵⁾ فيعرض الخالق - عزّ وجلّ - بجملة خبرية " وزوجناهم بحور عين " خبراً بالماضي على أنه يفيد الاستقبال، يشوق المتلقي مرة أخرى، بتزويجهم حورا عينا يوم القيامة، فيكرر ما كان عرضه على المتلقي من قبل.

¹ (الصافات: 46-49

² (الزخرف: 17

³ (الدخان: 54

⁴ (الزخرف: 17

⁵ (الدخان: 54

وأَمَقِي سورة الكهف (1)، فيعرض الخالق - عزَّ وجلَّ - لباساً أخضرَ للمؤمنين يوم القيامة، ويضاعف اللباسَ الأخضرَ على باب من زيادة التنعم سندساً رقيقاً يلامس الجلد أولاً ، ثم يليه إستبرق أخضر، وكلاهما من أصناف الحرير فيتكرر التشويق للمتلقي، في هذه المرحلة الختامية.

ثالثاً نلاحظ مما سبق توزيع الألوان بدءاً من الأبيض مروراً بالأسود وانتهاء بالأخضر المزدوج، موزعة على الكأس البيضاء اللذيذة مروراً بالبحور العينية التي يمتشج بياض عينها بسواده في جمالية إبداعية، مروراً بلون أسود مكتئب، لما كان بـبُشْمٍ أنثى، في حياته الأولى، وهو تلميح بمأخذ عليه في حياته الدنيوية، ثم ينتقل إلى الحياة الأخرى، لنشهد توزيع اللون الأخضر لباساً رقيقاً من الداخل، وأخشن منه (إستبرق) من الخارج، وهو نقصٌ دقيق فيما يلبسه الإنسان المتحضر من ثياب داخلية ناعمة للجلد، وفوقه يلبس ما شاء من الثياب.

رابعاً نلاحظ خمسة مشاهد قرآنية كان للأخرة أثرٌ بعة أحماسها، وخمسٌ للدنيا عرضاً وجهاً مسوداً للجاهلي إذ بُشِّرَ بأنثى.

خامساً: نلاحظ تدرجاً لونياً في عرض المشاهد، بدءاً بالأبيض الذي هو أساس الألوان كلها ثم أبيض وأسود (حور عين) فكلما قوي أحدهما زاد بعداً عن صاحبه ثم يظهر الوجه المسود على المجاز المرسل (جزئية).

ثم ننتقل إلى مشهد أخضر ترى صنفين من الثياب الخضراء في الجنة يلبسها المؤمن.

لقد تنزلت سبعة ألوان تدركها الحواس ، قد ينضاف إليها عشرات الألوان من مادتها مختلفة ألوانها، فتناسب ما نلذ ظه اليوم من امتزاج الألوان في تقنيات متقدمة في الحواسيب، وذلك في خمسون آية في كتاب الله جدول برقم (1) في عشرين خانة، أدرجت تنازلياً على النحو التالي: انظر الملحق (أ)

الأبيض، والأسود، ومختلفاً ألوانها والأصباغ، والأخضر والأصفر والأحمر، والأزرق.

¹ (الكهف: 31/18)

ومما يلفت النظر أن عوالم الكواكب والنار، والنهار والليل بأبعادها الزمانية والمكانية، والظلال لم تدرس، لأن فسحة البحث هذه لا تتسعها، وعليه فاعتمدنا من الألوان التي ذكرت باللفظ الصريح، أو ما يؤكد اللون المعنى بمعناه المعروف كاللبن، ومدهامتين وأحوى، ونحوها وهي مفردات لونية قليلة.

لقد توزع اللون الأبيض بثمانى عشرة آية على خمس عشرة سورة، ثلاثة أرباعها مكية، فاشتملت ثلاثة عشر ميداناً ملوناً، احتل المجال الإنساني ترتيبه الأول، فتوزع اللون الأبيض عليه في دنياه وآخرته، فجال اللون في دنيا الإنسان ست مرات في ست آيات بينما جال في الآخرة تسع مرات في تسع آيات، وإذا علمنا أن عدد الآيات كلها ثماني عشرة، فلنا أن نتصور بالنسبة والتناسب تخصيص (6:5) خمسة أسداس اللون الأبيض للإنسان.

كما نلاحظ مجال اللون على الإنسان في الحياة الدنيا بنسبة (9:6) مما يدل على أمور أبرزها : أولاً: أن الإنسان محور مهم التفت إليه الخالق - عزَّ وجلَّ - فشغل من اللون الأبيض 6/5، وثانياً: اتسع مجال الإنسان في الآخرة قياساً بالدنيا بنسبة (9:6)، وثالثاً: فإن دلالات اللون الأبيض باعتباره أصل الألوان على ما يثبته منشور نيوتن، يجلي الإنسان في داري ه: الدنيا والآخرة، وبالتالي يدعوه بالتلميح والتشويق إلى الإيمان، ليجد في الآخرة ما لم يجد ه في الدنيا، إذ يجد كأساً من خمره بيضاء فينتشي روحه، ويشرب من نهر لبن في الجنة خالصاً لم يتغير طعمه، فيروي ظمأه، وعند ذلك ينتشي نفساً وروحاً انتشاء شمولياً، ولإكمال دائرة سعادته يتزوج الحور العين، التي ذكرها الخالق - عزَّ وجلَّ - خمس مرات لتشكل آياتها 3/1 ثلث المجال الإنساني يوم تبيض وجوهه، في جنة الله الموعودة.

أمّا مجال الإنسان في الدنيا فذكره ست مرات، كان ليد موسى البيضاء خمس آيات، من تسع علماًت كبرى لفرعون، تلك اليد البيضاء، ذات الإشعاع النوراني على أدميته - عليه السلام فبهرت الناظرين، وبغية القول أن يؤمنوا برب موسى - عليه السلام - لينقلهم من الدار الدنيا إلى الآخرة - فيما بعد - مؤمنين.

أمّا عينا يعقوب فابيضتا من الحزن على ولده يوسف أصل المصيبات

جميعها.

وهنا يتجلى مجال اللون على الإنسان في الدنيا إيجاباً وسلباً، فيد موسى أظهرت معجزة؛ انبهر مشاهدوها فأمنوا برسالته، إلا قليل منهم، فأشعاعها الأبيض كان إيجابياً، أمّا سلباً فابيضت عينا يعقوب على ولده يوسف، فعادل البياض العمى أو ضعف النظر، لتغطية بؤبؤ عينه بغزارة دموعه، فتحوّل الأبيض هنا سواداً بمعنى سلبها يعني أن اللون متغير الدلالات حسب المذحى النفسي والمجال التركيبي.

ويوظف اللون الأبيض خدمة للإنسان في مجالات البحر، والحيوان والجبال والزمن، فمن البحر يُستخرج اللؤلؤ زينة للإنسان في حياته الدنيا، ويستخرج الحليب من بين فرثٍ ودمٍ سائغاً كشراب للإنسان، ويذكر الله - تعالى عباده بإبداعه في خلق صنوف من الجبال : منها البيض والاحمر والسود، ومن الزمن ما يتخذ ميقاتاً لبدء الصوم مذ ينبلج بياض الفجر وينقضي سواد الليل من الفجر.

أمّا اللون الأسود فاحتلّ المرتبة الثانية، فذكر في عشر آيات في تسع سور؛ ست منها مكية، جالت نصف آياته في مجال الإنسان بخمسة آيات، نال في دنياه اثنتين، وادّخر له في أخراه ثلاثاً، ونال المجال النباتي آيتين منه، والسماة آية، واشترك مع اللون الأبيض في مجالي الجبال السود والبيض والزمن ميقاتاً لبدء الصوم.

أمّجاله في الدنيا فوصف به وجه الجاهلي مسوداً عندما كان يُبشّر بمولودة أنثى له، يتضمّن معنى الإنكار الشديد على هذه العادة الاجتماعية، وأمّا في مجال الآخرة فأبرز صنفين من الناس منهم من تسود وجوههم لكفرهم، فيقال لهم على التبكيت: أكفرتم يا مسودّي الوجوه بعد إيمانكم؟ كما ترى صنفاً مسوداً وجهه لكذبه على الله - تعالى - من قبل.

فتلحظ الاسوداد سمة للجاهلي المشرك الكافر في دنياه، مقدمة لسوء عاقبته في الآخرة.

ويظل اللون الأسود مسيطراً على مجال الإنسان الكافر، وما يقع فوق رأسه فيذكره الخالق بقوله " وأغطش ليها " ليتدبر المتلقي قدرة الله على إظلام ليل السماء، ومن يستطيعها غيره - سبحانه - وللتدبر ذاته يعرض مشاهد نباتية سوداء،

مرعى أحوى ليعتاش عليه لخصبه و اسوداد لونه بفضله - عزّ وجلّ - ويذكرّ الإنسان بمآل المؤمنين إذ يعدهم بجنّتين "مدهامتين" من الينع والخصب على باب من تشويق الإنسان إلى بلوغ جنّاته.

صحيح أنّ اللون الأسود فيه مشاهد لونية منكّرة ، صورها في الدنيا والآخرة، لكن باب التشويق ظل مفتوحاً لجنّتين مدهامتين ، يلج فيهما العبد المؤمن في مجال اللون . ويشترك اللون الأسود مع الأبيض في مجال التوقيت الزمني لبدء الصوم، ومقدرة الله في إبداعه الجبال المتنوعة الألوان من بيض وحمرة وسود، إذ جعل اللون الأحمر متوسطاً بينهما ، لا مجاوراً ملاصقاً له كما في خيطي الفجر، لأنّ الجدد تورية لطرق مسلوكة، ودونها الحمرة والسود تحمّل على معنى إيماني. أمّا اللون الثالث مختلف ألوانها والأصباغ، فاشتملت تسع آيات من ست سور، خمس منها مكية، توزعت تنازلياً على النبات والإنسان والحيوان والعسل، ثلاثاً واثنين وواحدة على الحيوان والعسل بالترتيب.

أمّا النبات فما ذراه الله - تعالى - في الأرض على نحو شمولي مختلف لونه، ومثله الثمر والزرع، وكل صنف مختلف ألوانه وجنسه وطعمه ورائحته، و أمّا الإنسان فاختلف لونه ولسانه، و أمّا الحيوان فاختلف لونه من دوابّ وأنعام، فعطف الخاص على العام للأهمية، و العسل فاختلف لونه، لتتوزع الزهر المجني منه ، في مختلف فصول السنة.

أمّا اللون الأخضر فاحتل المرتبة الرابعة، إذ ورد آيات من سبع سور، ست مكية توزع تنازلياً على النبات ومجال الإنسان في الآخرة، بخمس وثلاث على الترتيب، ففي مجال النبات يذكر الله - تعالى - نعمه على خلقه : منها إنزاله الماء من السماء فتخضر الأرض بالزرع والنبات، وتخرج الحب المتراكب، ومن الشجر الأخضر يخرج ناراً فيكسر نواميس المتضادات بقدرته، ورؤيا الملك سبع سنبلات خضر، وأخر يابسات، وطلبه تعبيريها، وفي مجال الآخرة يعرض الخالق - عزّ وجلّ - من لباس المؤمنين نوعين من الثياب الخضر ناعمة وخشنة، ويتكئون على بسط خضر في صورة حركية نفسية مطمئنة وادعة.

أمّا اللون الأصفر ذو المرتبة السادسة فورد في خمس آيات بخمس سور، ثلاث مكية، دار في مجال النبات ثلاث، وفي مجال الحيوان اثنتان، أمّا في مجال النبات فعرض الخالق - عزّ وجلّ - مراحل إنبات النبات واخضراره، أمّا بشكل طبيعي نمائي، أو عقوبة بريح فيصفرُ النبات ويهلك قبل أوّانه، وفي مجال الحيوان عرض للون بقرة بني إسرائيل الصفراء الفاقع لونها ، بعد أن شدّدوا على موسى لتبين لونها من جهة، وصور للمتلقّي من جهة أخرى في سورة مكية مشهداً لشرر جهنم وهي ترميه بحجم الجمالات الصفر . أمّا اللون الأحمر ذو المرتبة السادسة فاشتملته أربع آيات في سورتين مناصفة بين مكية ومدنية، توزعت على مجالات الجبال الحمر كآية على ق درته وإيداعه، والبحر وما يستخرج منه من مرجان أحمر، وعلى الحور اللائي منهن كالمرجان لونا وبهاء، وعلى السماء يوم تتشق فتصير وردية اللون منصهرة بحرارة النار.

أمّا اللون الأزرق ذو المرتبة السابعة الأخيرة فجاء بآية واحدة من سورة طه المكية في مجال الإنسان يوم ا لقيامة عند نفخة الصور؛ فيحشر الكافرون زُرُق العيون من الكدر والعطش، ولعل نظرة فاحصة إحصائيا عموديا لترتيب الألوان كما وردت في الجدول (1) تنازليا أن تبرز:

أولاً: بروز المجال الإنساني لافتنا في دنياه وآخرته إذ بلغ عدد الآيات في دنياه (10) عشر آيات، شملت نصفها يد موسى البيضاء، وتوزعت الأخر على عين يعقوب ووجوه مسودة مرتين لتبشيرهم بأنثى، واختلاف ألوان الناس وألسنتهم وصبغات جلودهم.

ثانياً: أمّا في مجالاته الأخروية فبلغت (15) خمس عشرة آية يضاف إليهم ملحقات خدمية ومشارب من لبن وخمر، وحور عين، فترى في مجال الآخرة وجوها بيضا وسودا موزعة على المؤمنين والكافرين، وألبسة خضرا واتكاء على أرائك خضر، وعليه فإن (28) ثماني وعشرين آية من (55) خمس وخمسين قد جلاها الحق سبحانه على مجالات الإنسان في الدنيا والآخرة، بما يشكل نسبة أكثر من (50%) مما يُعلي من شأن الإنسان.

ثالثاً: توجيه الإنسان إلى حياة أخرى فيها متاع وإمتاع، فأكثر من درج الألوان فيها بغية إثارة الإنسان وتشويقه إليها، بل نقله الخالق بعنصري الزمان والمكان من الأرض إلى ما وراء الفضاء كما ترى ولعل هذا التوجيه الرباني أثر في المسلمين توجهها وتوجيهها مما حمل بعض الفنانين المسلمون إلى أن يجعلوا للفضاء أهمية بنائية باعتباره عنصراً من عناصر العمارة، يحمل رمزها في التعبير من خلال الاختلاف أو التطابق والفراغ والاحتلال رموز الحياة والموت والبعث كما يراه بعضهم⁽¹⁾.
 رابعاً: المجال النباتي المرتبة الثانية بثلاث عشرة آية لم تذكر ثلاثة ألوان بالنص تفصيلاً كالأبيض والأحمر والأزرق غير أنها متضمنة بقوله : ﴿ وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه ﴾⁽²⁾.

وقد احتل اللون الأخضر المرتبة الأولى عن النبات بخمس آيات ثم تساوى الأصفر ومختلفاً ألوانه بثلاث لكل منهما، وانتهى بالأسود بآيتين، وليس بغروى أن يحتل النبات هذه المرتبة، لأنه غذاء الحيوان والإنسان، كما أن اللون الأخضر ذو دلالات متعددة فمنه دلالات الخير والنماء والخصب، ومنه إثبات قدرة الله على أن يلغي نواميس الأشياء بتغيير خواصها ؛ طوعاً لإرادته ؛ فيجعل من الشجر الأخضر ناراً، ومنه رؤيا ملك لسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، وللبقرة مثلها كتتيبه ملك إلى خطة اقتصادية تبناها يوسف - عليه السلام - بعد تعبيره الرؤيا ، وخروجه من سجنه، ومنه تشويق للمتلقى ليشهد ملابس خضراً؛ لأهل الجنة واتكأهم على بسط خضر.

مختلف الألوان فوزعها شمولياً على كل بذور الأرض، وثمرها ، وزرعها، وأما الأصفر فأداره الخالق - عز وجل - على مراحل إنبات الزرع للحصاد في حالة رضاه سبحانه، والأضرار به بريح تجفف خضرته ، وتهلكه في حالة غضبه، جل وعز.

¹ (الربيعي، شوكت، (د.ت). الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي 1885 - 1985، دار الشؤون الثقافية،

بغداد، ص14

² (النحل: 16/13

وأما الأسود من النبات فانحصر في المرعى الأحرى في الدنيا، والجنيتين
المدهامتين للمؤمنين يوم القيامة.

خامساً: أما الحيوان فاحتل المرتبة الثالثة، فذكره باللون الأصفر مرتين، ومختلف
الألوان، وأسود بمعدل مرة لكل منهما، فبقرة بني إسرائيل صفراء، فاقع لونها تسرُّ
الناظرين، غير أن ثمنها غالٍ، والجمالة الصفر مشبه به لشرر جهنم لتخويف
المشركين، وأمَّاختلف الألوان فالحيوان عامة، و أما الحليب (اللبن) فيستخرج من
بين فرثه (كرشه) ودمه، لبناً سائغاً للشرب بقدره الله تعالى.

سادساً: وأما الجبال فوردت أربع مرات بأربع آيات تبين ألوانها المتعددة من بيض
وسود ومختلف ألوانها وحممر.

سابعاً: وأما السماء فأبرزها اللون مرتين تارة سوداء " إذ أغطش الله تعالى ليلها
بقدرته، وانشقت بقدرته فكانت وردة حمراء من حرارة النار.

أما البحر والنهر فيستخرج منهما (من أحدهما البحر) اللؤلؤ والمرجان،
والعسل مختلف ألوانه يجنيه النحل وفي سورة النحل خاصة.

الفصل الثالث

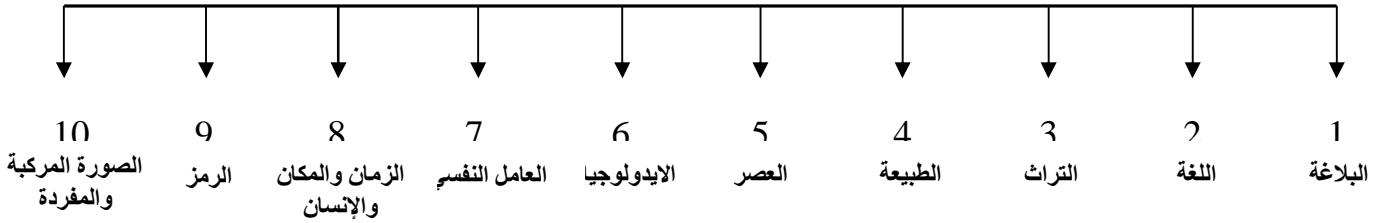
وسائل نقل اللون في القرآن الكريم

1.3 وسائل نقل اللون في القرآن الكريم

ونعني بوسائل نقل اللون في القرآن الكريم الطرق الفنيّة التي أبدعها الخالق - عزّ وجلّ - في فنون قوله في آياته المتعددة لإبراز الصور اللونية ودلالاتها بانبلاج توظيف، وإبداع لطيف.

ولعلّ المحدّق بآيات اللون أن يجد صنوفاً من وسائل نقل اللون في صور

لونية متعددة يبينها التشجير التالي:



1.1.3 الفنون البلاغية

أمّا الفنون البلاغية فمتعددة، وذلك أمر بدهي، فالقرآن الكريم عامة تحدّى أبلغ الفصحاء العرب؛ أن يأتوا ولو بآية من مثله، وعليه فلا غروى أن نجد فنوناً بلاغية متعددة أبدعها الخالق - عزّ وجلّ - في عرضه مشاهد لونية، منها المجاز المرسل ذو العلاقة الجزئية، إذ يذكر الجزء ويريد الكل، نحو قوله : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضت وجوههم﴾⁽¹⁾ و ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾⁽²⁾.

فنلاحظ ابيضاض الوجه و اسوداده، و ابيضاض العينين، ليست المقصودة لوجود قرينة تمنع إرادة معناها، فلنا أن نتخيل وجوها بيضا وسودا يوم القيامة؛

¹ آل عمران: 107

² آل عمران: 106

بخلاف ألوان أجسادهم، فقد يبعث ذلك على التندر، وإنما بيض الوجوه تعادل طيب أعمالهم، وسود الوجوه تعادل سوء أعمالهم.

وعلى هذا فيمكن القول إن الوجوه مجازاً كلمات في معنى معناها بالتحقيق استعمالاً في ذلك بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة من إرادة معناها الموضوع له في أصل اللغة.

ومن المجاز المرسل إطلاق الحال ويراد المحل كقوله: ﴿... ففى رحمة الله هم فيها خالدون﴾ يريد الجنة، و نلحظ من معطيات المجاز بروز ظرفي الزمان والمكان لاستكمال الصورة يوم القيامة زماناً وفي الجنة مكاناً، على محملي الترغيب والترهيب، كما نلحظ الطباق في قوله : ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾⁽¹⁾، وبعضهم قال كنى بهما عن فريقين من الناس هما : أهل الحق ببياض اللون ونصاعته، وأهل الباطل بسواد الليل، مما يُحمل عند بعضهم على التدبيج لأنه يذكر لونين يقصد بهما الكناية والتورية ولا ينحصر في مجرد المطابقة بمعزل عنهما⁽²⁾، وقد أشار إلى التدبيج هذا ابن أبي الأصبع المصري⁽³⁾؛ لأن ألوان الجبال مختلفة فيما عدا الأسود والأبيض فأراد الكناية عن المشتبه والواضح من الطرق.

وترى التدبيج بصبغ لونين هما : الأسود والأخضر في مادتي "غناء أحوى" و "جنتان مدهامتان" ، فدبج لونين هما الأخضر والأسود في مجال النبات لما امتلأ ينعاً وخصوبة وارتواء، ويمكن لفنان تشكيلي أن يتمثل هذا اللون فيبدع في رسمه ربما لاهتمامه في ظاهرة توزيع الضوء⁽⁴⁾ على النبات وتمثله ترسيماً

¹ (آل عمران: 106

² (مطلوب، أحمد، (1983) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ج118/2

³ (المرجع نفسه، ج118/2

⁴ (الحاوي، التشكيل اللوني في شعر أبي تمام، ص ص 90-149

"كلوروفيلياً" بطاقة الشمس؛ ذلك لأنه عند سقوط أشعة الشمس يحدث ثلاثة أشياء هي، " الانعكاس، والامتصاص"⁽¹⁾ فيحدث التدبيج المذكور.

وقد برز الطباق في "الحُور" شديداً سواد العين و **بياضه**؛ فطابق بين اللونين **الأسود والأبيض** على نحو جمالي مبدع، وقد يبدو في النص طباق غير أنه في السياق يتشكل ظاهرة بلاغية أخرى كقوله تعالى : " وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر"، فإنَّ الألوان التي تبدو مطابقة في القراءة الأولى تنزاح عن هذه الدلالة إلى ظاهرة بلاغية أخرى هي التشبيه البليغ، فينزاح الخيط الأبيض عن معناه الظاهري ليعادل الفجر المعترض في الأفق، والأسود يعادل غبش الليل الممدود، ولو لم يذكر "من الفجر" لكان استعارة تصريحية، ولكن ذكر المشبه المادة إلى التشبيه البليغ محذوف الأداة، ومن التشبيه البليغ والذو الذي أخرج المرعى، فجعله غثاء أحوى إذ جعل الله المرعى غثاء أحوى على أنه تشبيه بليغ، ولعل في حذف أداة التشبيه أن يحمل التشبيه صورة اتحاد بين طرفي التشبيه المشبه والمشبه به كأنهما في كيان واحد⁽²⁾.

وكان للتشبيه المرسل المجمل دور في تقديم الصورة اللونية، فيشبهه الحوريات **ببيض** النعامة **الأصفر** الممتشج **بالأبيض** المستور **حينا** ﴿كأنهن بيض مكنون﴾⁽³⁾، أو **حينا** كأمثال اللؤلؤ المكنون"، أو يصف حينا آخر شرر جهنم شكلا وحجا وتوقدا "كأنه جمالات صفر".

فنلاحظ توظيف أداة التشبيه "الكاف" في الأولى، وأداة التشبيه حرفا، واسما، (كأمثال" و "كأنها") في وصف شرر جهنم، فالصورة في آيتين للتشويق أو في وصف جهنم، فأجرى الله تعالى الأوصاف في الإخبار عنها لزيادة الترويع والتهويل، فإن كانوا يرون ذلك الشرر لقربهم منه، فوصفه لهم أكد لترويع بتظاهر

¹ (النعمان، فرج عبو، (1982). علم عناصر الفن، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، أكاديمية الفنون الجميلة، ص 95

² (البابعة، الصورة الفنية في شعر البحتري، ص 307، وانظر الفصل الثاني وسائل الصورة في شعر البحتري ودراسته عن التشبيه والفونيمات.

³ (الصافات: 49

السمع مع الرؤية، إنها ترمي بشرر كالقصر ، كأنه جمالات صفر" وإن كانوا أبعد منه، فالوصف للكشف عن حاله الفظيعة (1)، ويبدو أن التشبيه المرسل المجمل خاصة من غير المفصل دورا في تشويق المتلقي أو تهديده، محمولا على القول " مالا عين رأت ولا خطر على قلب بشر" في مجالي الترغيب والترهيب.

كما كان للاستعارة دور في تقديم صورة للون كقوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ (2).

كما قدم التشبيه التمثيلي دوره فجمع متعدد الصور في وجه الشبه، فشبه الحياة الدنيا لعبا ولهوا وتفاخرا بين الناس وتكاثرا في الأموال والأولاد بمراحل النباتات التي تبدأ بنزول الغيث، فيُعجَب به الزرَّاع ثم يَخْضِرُّ، ويجفُّ عند بلوغه مرحلة الحصاد، ثم يكون حطَّ أمْبَقُوله في سورة الحديد (3)، تَمَامًا كمراحل الحياة الدنيا، حسب الخصال الخمس لعمر الإنسان : لعب، وهو طفل، ولهو إذا بلغ، واشتدَّ عظمه، وزينة إذا بلغ أشده، وتفاخرٌ إذا اكتهل، وتكاثر إذا كُبر، كمراحل الإنسان (4)، ﴿اعلموا إنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهو وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد كمثل غَيْثٍ أعجب الكهَّار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ من الله ورضوانٌ وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ (5)، ومن وسائل الفنون البلاغية التي قَدِّمَت الصورة اللونية الاستعارة بدليل توظيفه من الفجر من قوله تعالى : ﴿.....وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ (6) فلو لم يقل من الفجر لحمل على الاستعارة.

1 (ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج437/29

2 (البقرة: 187

3 (الحديد: 20/57

4 (راجع مادة مصفرا في الجدول الملحق (أ) المرفق.

5 (الحديد: 20/57

6 (البقرة: 187

كما برزت الاستعارة في قوله تعالى لموسى : "واضمم يدك إلى جناحك" استعارة من جناح الطائر.

ووظف التكرار للتأكيد، فكرر آية في سورتين هـ ما: الأعراف(1)، والشعراء(2)، ﴿ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾(3)، ولما كان من فائدة التكرار باللفظ والمعنى بجملة خبرية ، فتحمل على توكيد المعنى وتثبيتته وتسديد أمره وإشعار بعظم شأنه(4)، كما كرر "سبع" غير مرة في سورة يوسف في رؤيا الملك؛ لتوكيد هذا الرقم المرموز لسبع سنوات القحط وسبع الغلال للتحذير من عواقب القحط في خطة اقتصادية مدتها خمس عشرة سنة.

كما كان للجناس دوره في تقديم الصور اللونية، من جناس الاشتقاق "أسفا على يوسف" وكانت ألف أسفا بدل ياء الإضافة لتحمل صورة أشد الحزن النفسي على ولده، فحمل الجناس وظيفة نفسية قدمها إلى اللون، بمد الألف (أسفا) تهيئة مريرة.

كما برزت الكناية تحمل صورة لونية عن موصوف "من غير سوء" كناية عن موصوف "البرص" ويقال مثله عن قوله بما ضرب الرحمن مثلاً " كناية عن الأنثى التي بُشِّر بولادتها الجاهلي.

وكان للكناية دور في أن ينبه بها الرسول الكريم بعض من لم يفهم نصوص القول إذ قال لمن فهم "الخيط الأبيض والأسود" فهماً حرفياً: "إن كان إنن وسادك عريض" كناية عن صفة الـ بلادة، فأجابه الرسول الكريم عما كان جهله من فهم مضمون النص الشريف عن ما يجب فهمه، كما قدم إيجاز الحذف دوره في حمل صورة اللون بأقصر الطرق، وبأقل لفظ، مع غزارة المعنى، كقوله تعالى : "ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً " بتقدير لئن أرسلنا على الزرع بعد خضرته ونموه، ريحاً ضارة مفسدة فرأوا الزرع مصفراً، للاختصار لأنَّ العقل يدل عليه، ومن خلال درج

1 (الأعراف: 108

2 (الشعراء: 33

3 (الأعراف: 108

4 (انظر: مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1/349

النص، لا بل لا بد من وجود قرينة تعين المحذوف "ولا يكون الحذف إلا في ما زاد معناه على لفظه"⁽¹⁾

كما برز الحذف في قوله "سبع سنبلات" دون تصريح بالعدد لأن الكلام يبيّن انصبابه على هذا العدد، كما ترى الحذف عجباً أمره كالسحر كما يراه ابن الأثير بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْرَمْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾⁽²⁾، فترى أنّ جملة مقول القول محذوفة مع الفاء الرابطة لجواب أمّا، وشرط أمّا لا يذكر صريحاً، بل التزموا حذفه يقال لهم كذا⁽³⁾، وللطباق دوره في تقديم الصورة اللونية، ويبدو أنّ الطباق المجازي أدّى دوره في قوله تعالى على لسان ملك مصر : ﴿..... إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجافٍ وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾⁽⁴⁾، فالسمان والعجاف تطابق مجازاً سنوات الخصب والقحط⁽⁵⁾ ويقال مثله في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾⁽⁶⁾ طباق مجازي إذ لسوء العمل تسود الوجوه، ولطيب العمل تبيض. وللتدرج اللوني دوره في تقديم الصور اللونية كقوله تعالى : ".... ومن الجبال جدد بيض وحمر وغرايب سود" فبدأ بذكر البيض ثم تدرج إلى الحمر وانتهى بالأسود.

إن مثل هذا التدرج اللوني ليعتد الحركة اللونية في عالم الجبال، وهو يموج بالحركة وهو يؤلّد حسن الصورة للمتلقّي، فيضفي عليه شعوراً جمالياً، ويدفعه إلى متابعة الصورة والإعجاب بها.

ولعل في استشارة أصحاب الاختصاص في الرسم واللون أن تأتي جمالية الألوان من خلال تزاوجها حيناً ، أو من خلال الأضداد حيناً آخر، كالأبيض الذي

1 (انظر: المرجع نفسه، ج1/349.

2 (آل عمران: 106

3 (انظر تفسير العلماء لها في الخانة المخصصة لها في جدول (أسودت) وانظر : مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ج1/355 المثال.

4 (يوسف: 43

5 (مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية، ج2/257.

6 (آل عمران: 106

يشكل مع الأسود والأبيض إذا روعي في مساحات متقاربة (1)، فتري فاصلاً بين الأبيض والأسود، إذ كلما تقربا من بعضهما بدأ التباين واضحا، وعندما توسط اللون الأحمر فصل بين الألوان في تدرج لوني أبيض - أحمر كما ترى التدرج اللوني في مراحل إنبات النبات، فلعل الفنان التشكيلي يستطيع رسم مراحل إنبات البذور منذ سقوط المطر، واختلاطه ببذور الأرض، ثم يخرج مخضرا، ويشبُّ، ثم يهيج ويصفق ويحصد، أو يهلك ثم يتناثر حط أمكما في السورتين: سورة الزمر (2) وسورة الروم (3).

أمّا تراسلية الحواس فظاهرة بارزة في الصور اللونية، فتتوقف عند لون اللبن (بصراً) وعند طعمه الذي لم يتغير ذوقاً، على غير ما يعهد بتغيير الطعم لفساد بعامة، أمّا لطول مدة أو لجريان وأثّار من لبن لم يتغير طعمه " كما يضاف إلى تراسلية الحواس نعمة الله التي ينبغي أن يشكر عليها؛ تلك إبداعاته - عزّ وجلّ - بأن يسقى الناس حليباً نقياً خالصاً، على الرغم من استخراجه من بين ما يستكره كرشاً من الأعلى ودما من الأسفل "تسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً"، ولو تدرج الفنان التشكيلي لترسيم هذه الصورة اللونية لبدأ التصوير بالكرش، وما به من طعام مختلط أنواعه وألوانه، ثم يتدرج بتصوير الوسط فيستخرج منه الحليب (الأبيض) ثم ينتهي باللون الأحمر القاني (الدم)، فتجتمع الصورة اللونية (مختلف الألوان في الكرش حسب الطعام وحليب أبيض ودم (أحمر)) أن تتخيل الألوان بالصورة اللونية والشمية مما ينبع ث من الكرش والدم والحليب، ثم ذوقية لكل منهما لتصب في حمد الله على إبداعه في خلقه، وقدرته على استخراج الطيب (الحليب) من بين ما يستكره ذكره ولونه وطعمه ورائحته، كما ينجلي البعد المكاني متوسطاً بينهما، يستخرج سائغاً للشاربين.

1 (طالو، محيي الدين، (1961). الرسم واللون، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، ص33

2 (الزمر: 21

3 (الروم: 22

وكان للإطناب دور في تقديم الصورة اللونية، إذ عرض مشهدا لخاص بعد العام ﴿.... ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه﴾⁽¹⁾، فخص الأنعام مع أنها من الدواب فزاد اللفظ على المعنى لفائدة أن إنزال المطر من السماء يخرج به النباتات الذي يتغذى عليه الدواب عامة، ومنه ما لا يفيد الإنسان وهو وإن كان من ظواهر إبداع الله لألوانه المتعددة على فائدته، فإن الأنعام من الدواب أفيذ وأخص نفعاً للإنسان، ووظف لفظة الدواب كما ترى متوسطة بين الإنسان والأنعام مع أنها شاملة لهما في المعنى، إذ كل ما دبَّ على الأرض دابة.

وكان للصورة الحركية النفسية دور في عرض مشهد لشرر جهنم؛ ترمي به كالقصر حجماً، والجمالة الصفرة لونا وتتابعا وكثرة من غير أن تأثر جهنم بما يخرج منها، فتلحظ صورة حركية من الفعل (ترمي) المضارع المستمر ﴿إنها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالت صفر﴾⁽²⁾، كما تمتشج الصورة الحركية بصورة نفسية لزيادة الترويع والتهويل، يضاف إلى ذلك صورة سمعية تسمعها بإذن خيالك، إثر إنقذاح الشرر من جهنم ورميه بحجم الجمالات جمع جمع (الجميل)، وللتضاد المبدع دور في عرض مشاهد لونية، إذ تعطل نواميس المواد المتضادة بإرادة الله تعالى فيجعل من الماء ناراً إذا شاء في التذليل على إبطال نواميس الكون ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أتم منه توقدون﴾⁽³⁾؛ لتكون مقدمة مقنعة للمتلقي لنتيجة حاصلة بإمكانية البعث لأجساد كانت رمت في التراب من أمد بعيد، فإذا كان الإنسان جمع النار والماء في التلاجة مثلا فكيف يعجز خالقه عن أن يجمع بين المتضادات، وأن يكسر نواميس الكون إن شاء ومتى شاء عزَّ وجلَّ.

وللالتفات حضور في تقديم الصور اللونية في القرآن الكريم بغية التطرية لنشاط السامع، وإيقاظا للإصغاء إليه يدل على إجراءاته على أسلوب واحد⁽⁴⁾ فالتفت

¹ (فاطر: 27)

² (المرسلات: 33)

³ (يس: 80)

⁴ (الزمخشري، الكشاف، مجلد 1/11)

أسلوب الخالق - عزَّ وجلَّ - من الغائب ﴿لم تر أن الله أنزل من السماء ماء...﴾ إلى أسلوب المتكلم بضمير الجمع المتكلم وهو من فوائد الالتفات كما ترى في الأمثلة السابقة أن يركِّز فيه على الأهم أكثر من المهم، فإنزال المطر مهم للنبات، ولكن إخراج النبات هو الأهم، والغاية المنشودة في الحياة والإحياء.

2.1.3 المستوى اللغوي

أمَّا في مجلات المستوى اللغوي فنلاحظ مشاهد لونية ؛ شواهد لغوية متعددة، تعد جميعها نوافذ نطل منها لاستجلاء النص وأنساقه المتنوعة، فينقلنا النحو إلى مشهد حال المؤمنين يوم القيامة.

يقول تعالى: ﴿متكئين على رفرف خضر﴾⁽¹⁾ حال حذف عامله، فتجول بعين خيالك إلى هيئة اتكاء يمتشج اللون الأخضر اتكاء المعدِّ باطمئنان نفسي، ببعد زماني ومكاني يوم القيامة، في الجنة إكرامًا للإنسان المؤمن، إنك كما ترى بإشعاعات الحال متكئين تطل على النص وهو يعرض مشهدًا بأنساق ستة ذكرناها : فتدرك ساعاتٍ تجليات النحو إذا وظف ممتشجًا بالسياق لا منعزلاً عنه.

وتقدم اللغة توكيد اللون الأسود للجبال السود الغرابيب ﴿وغرابيب سود﴾⁽²⁾ مع أن الأصل سود غرابيب في معرض التفات من الغائب إلى المتكلم في عرض مشهد تدبيج الألوان للتدليل على إبداع الله صنوفاً من الجبال المختلفة الألوان، وربما تحمل دلالة الألوان البيض والحمرة والسود على الكناية عن موصوف الطرق الواضحة المسلوكة بدءاً بالبيضاء ولعلها المحجة البيضاء ثم بين (الحمراء) وانتهاءً بالسوداء، ومن اللغة أسلوب التوكيد للون البقرة الصفراء الفاقع لونها، لتحمل بالتوكيد هذا دلالتين متضادتين سلبيًا وإيجابيًا، أمَّا الإيجاب فلون أصفر يرتاح البصر لما رآه و أمَّا السلب فغلا سعرها حتى لم يكادوا يشترونها.

(1) الرحمن: 76

(2) فاطر: 27

كما تلحظ صيغة "كظيم" بمعنى اسم المفعول يعادل المملوء غيظا على ولده يوسف في تشظ نفسي كان يتعناه، لكرب عظيم.

وبرز الحذف والعدل في الصور اللونية في معرض السنبلات السبع الخضر ﴿وأخرياسات﴾⁽¹⁾ ليعدل بالقول وأخر سبع سنبلات، وأخر جمع أخرى والحذف مقدم الصورة اللونية بإيجاز الكلم وسعة معنى.

كما تستوقف "إني أرى" لرؤيا الملك بالمضارعة رؤيا قلبية، لترتبط تأويلا بالثروة الحيوانية والنباتية، كما تمتشج من منحى نفسي تعلق الملك لتعبير الرؤيا فتشكل "تداعي معنى" للذي خرج من عند يوسف، فبالرؤيا تذكر ما كان أوصاه به يوسف، بأن يذكره عند الملك فنسي، ولكن الرؤيا الملكية ذكرته فعاد إلى يوسف فعبرها، وخرج من السجن ثم تولى شؤون المال، وتتغير دلالة الفعل أحيانا بانزياحه عن دلالاته المعجمية إلى معنى آخر بتوظيفه في السياق، فترى في قوله تعالى: "هو الذي أنزل من السماء ماء" ⁽²⁾، فتعادل ينزل في المستقبل والحاضر، ولا ينحصر الإنزال في الماضي فحسب، إذ لو كان كذلك فقط، لمات النبات والإنسان، ويقال مثله عن قوله تعالى وهو يصف لون وجه المشرك إذ يُبشر بمولودة له أنثى ﴿ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾⁽³⁾ بمعنى صار وجهه، وهو ينسحب على كل من نهج نهجه ماضيا ومستقبلا، والمشهد - كما ترى - بصري تراه مقطباً متبرما، ونفسيا يتجرع الأسى مغتماً.

وترى جمع الجمع "جماليات" للتكثير والتفريق ترغيبا وترهيبا، لتعادل شرر جهنم حجما ونوعا وعددا، وتجد للجُمل الإنشائية والخبرية حضورا لتقديم الصور اللونية المتعددة، فمن الخبرية ما يؤكد لفظا ومعنى مرتين في آيتين من سورتين هما ﴿ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾⁽⁴⁾، في سورتين مكيتين؛ لطمأنة الرسول الكريم على نصرته الله لعباده المؤمنين كآيات ينتصر بها الرسول الكريم على متحديه.

¹ (يوسف: 46/43)

² (فاطر: 27)

³ (النحل: 58)

⁴ (الأعراف: 108، الشعراء: 33)

أمّا الجمل الاستفهامية فمتعددة منها الأسلوب التقريري "ألم تر أن الله أنزل من السماء"⁽¹⁾، والإنشائية الأمرية من الخالق إلى موسى - عليه السلام - "واضم يدك إلى جناحك، و"أدخل يدك" و"واسلك يدك في جيبك"⁽²⁾.

ثلاث جمل إنشائية إحداهن بهمزة قطع، واثنان بهمزة وصل لتقدم مشاهد لونية بأمرية الله لإثبات الحق وإزهاق الباطل، وطمأنة النبي بإمكانية نصره في أي وقت شاء.

3.1.3 التراث

وكان للون دوره في إبراز التراث على ما يحرص بعض الدرساة على الاهتمام كما أسلفنا، فمن مشاهد التراث التي قدّمها اللون إبراز التعميد النصراني في مياه المعمودية وصبغه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾⁽³⁾، فتنزاح الدلالة في تفسير إلى دين الله وليس ماء المعمودية بقادر على أن يغير فطرة الله التي يُعبدُ الله خالصاً فيها، كما عرض للجماليات **الصفير** مشهداً لونياً؛ مشبهاً به شرر جهنم الذي يتطاير تخويفاً للمشركين؛ بالحجم واللون والحركة، بما يشاهدونه من جمالات **صفير** يحبونها ويرعونها وقد ألفوها تراثاً وورثوها كابراً عن كابر، كما عرض جزءاً من تراث اليهود من قبل وهم يستوصفون موسى بالحاح عن لون البقرة، فشدد الله عليهم ثمنها غالياً، فما كادوا يدفعونه.

4.1.3 الطبيعة

وعرضت الألوان مشاهد من الطبيعة الملونة، فالماء من السماء ينبت به الزرع والثمر والشجر مختلفاً ألوانه، كما عرضت ألواناً متعددة من الجبال **البيض** و**الحمير** و**السود**، وبرز التدبيح في المرعى الأحوى، والجنيتين المدهامتين هذا في

¹ (فاطر: 27)

² (وهي على التوالي: طه: 22، النمل: 12، القصص: 32)

³ (البقرة: 138)

الدنيا، أمّند قيام الساعة فت نشقُ السماء الزرقاء عن وردة حمراء ملتهبة نارا، كما أبرز الخالق إبداعه - عزَّ وجلَّ - وهو يغطش الليل **فيسود** ويخرج الضحى **فبييض**.

كما يعرض للنحل وهو يجني عسلاً من مختلف الزهور والثمر؛ فيخرج من بطونه عسلاً فيه شفاء للناس.

5.1.3 العصر

وقد راعى القرآن الكريم نفسية الإنسان العربي في عصره الجاهلي، فأذكرهم بحشر المجرمين يوم القيامة زرق العيون من الهول والخوف؛ ذلك لأن العربي كان يكره العين الزرقاء؛ لأنها تذكره بخصومه الروم، كما أشرنا إلى التفصيل في مادة "أزرق" (أ) يذكره باللون ذاته في الآخرة، كما شبه شرر جهنم بالجمالات **الصفراء**، كما أسلفنا، مراعيًا ذكر الجمل، حيوان العصر الذي يعايشه بمنافعه المتعددة، ويعرفه تماما لونا وحجما وحركة، متفرقا وجمعا.

6.1.3 الأيدولوجيا

وأبرزت مشاهد اللون الأيدولوجيا منها جدلية بني إسرائيل نبيهم موسى - عليه السلام - والإلحاح عليه لتحديد لون البقرة التي يريد الرب سبحانه ذبحها، لاستتطاق القتيل ليبلغ مَن قاتله، ولو ذبحوا في البداية؛ أي بقرة لسدت، لكنّ تعنتهم في جدالهم موسى - عليه السلام - شدد الله - تعالى - عليهم فأرشدهم إلى بقرة **صفراء** بالغ صاحبها في ثمنها، حتى ملأوا جلودها ذهبا عشر مرات، فما كادوا يفعلون لغلاء سعرها (2) ولعل هذا درس أيدولوجي في عدم الإلحاح بالأسئلة التعجيزية التي تجلب سخط الله - تعالى - على عباده.

1 (طه: 102. وانظر زرق العيون في الجاحظ، كتاب الحيوان.

2 (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص 393 - 394.

7.1.3 العامل النفسي

إن الأذواق لم تتفق في الارتياح إلى لون بعينه، وعدم الارتياح إلى لون آخر، فما اتفق على أنه لون صاخب قوي متعب كالأحمر مثلا، أو لون هادئ مريح كالأخضر، قد لا تراه نفس أخرى بمثل هذه السمات، وبمثل هذا التأثير، ألم يصرح القرآن بصفرة اللهب الشديد لجهنم كأنها قصور، مع أن الصفرة من الألوان المريحة الهادئة، وكذلك ردود الفعل الإنساني من الطمأنينة لألوان والنفور من ألوان، وعليه فإن الانسجام الواحد بين الألوان قد لا يكون له الأثر الواحد في جميع حالات النفس، فحين تتقبل النفس الألوان قد يحدث فرحا، وحين لا تتقبلها تنقلب إلى حزن وأسى⁽¹⁾ هذا وقد عرف المصريون القدماء تأثير الألوان على نفسية الإنسان، فاستخدموا اللون الأخضر مثلا في أكفانهم، وفي العقيدة الإسلامية، جاءت دلالات الألوان تعبيرية، أو رمزية، أو حسية، أو جمالية، وارتبط اللون بمصدرين جوهريين: أولهما، النور القادم من السماء المقترن بالخالق الأعلى، وثانيهما، الظلمة المقترنة بقبح الظلم، والطغيان المنافي لجمال العدل، وبذلك، فإن اللون، وجماله، يقترن مع وجود الضياء، ثم يتداخل في المفهوم مع العدل، والقسطاس الإلهي، وأصبح اللون الأسود المظلم لون الحزن، والألوان المشعة دالة على الحبور في الأعراف الشعبية⁽²⁾

غير أن هذا اللون اتخذ مشهدين : إيجاباً وسلباً، أمّا الإيجابي فيسر لونها الناظرين، وللمطلب فكان ثمنها غاليا حتى بولغ بئمنها فما كادوا يدفعونه ، كما تداعى المعنى لساقى الملك الذي خرج من السجن الذي كان فيه مع يوسف - عليه السلام - فنسى أن يعرّض بذكره، إلى أن رأى الملك الرؤى فطلب من يعبرها له، فعبر يوسف عليه السلام الرؤيا بخطة أربع ع شرية مناصفة بين فؤل وبؤس ؛ إلى أن يغاث الناس بعامة، وهو الشاهد النفسي للخطة الخمس عشرية في التدبير الاقتصادي؛ فيفهم من منحى نفسي، أن سنة رمزُ نكد، وعاما رمز فؤل؛ إذ فيه يغاث الناس وفيه يعصرون.

1 (حمدان، الضوء واللون في القرآن الكريم، ص 4

2 (حمدان، الضوء واللون في القرآن الكريم، ص 5

كما أن استراحة المؤمن باتكائه على السرر (1) لالة على منحى نف سي، لاسيما على رفرف خضرو عبقري حسان (2) في سورة الرحمن التي هي "عروس الرحمن".

كما نلحظ مشهداً نفسياً ليد موسى لما أخرجها من جيبه "فإذا هي بيضاء للناظرين" موظفاً المبتدأ بعد إذا الفجائية، تفاجأ الناس بلون يده البيضاء على سمرته فآمن السحرة بآيات موسى، فسُرَّ موسى ومن آمن به، وامتعض فرعون وركبه في ضحاء يوم عيدهم ذلك.

8.1.3 المكان والزمان والإنسان

الألوان اختلافها وتناسقها مظهر من مظاهر الجمال الذي بثه الله - تعالى - في الكون الواسع، وإن العالم مليء بالألوان والأضواء فلا تقدر الأحياء على الحياة من غير ألوان، ولا أضواء، وإن الكون الذي تحل فيه الألوان، والأضواء، هو كون الإنسان الذي ينعم بهما، ويلتذ لهما (3)

وتعددت الألوان فمنها : نباتي، ومنه سماوي، ومنه دنيوي، ومنه أخروي، ومنه مقدس، فالمقدس طور سيناء الذي تخرج شجرة الزيتون فيه "والأخروي يوم القيامة وأهواله وأحواله حسب أعمال المؤمن والكافر في الجنة والنار.

واللَّيْوِي فالجبال المتنوعة الألوان، موزعة على الأرض و أمَّا السماوي فالسمااء الزرقاء تتحول حمراء كالوردة إذا انشقت يوم القيامة.

وأمَّا النباتي فالشجر وتوزيعه المختلف، والثمر مثله في أقطار الأرض وما أكثرها وأبدعها، والثمار معرض بديع للألوان، فما من نوع من الثمار يماثل لونه لون آخر، بل ما من ثمرة يماثل لونها لون أخواتها من النوع الواحد.

لقد وظَّف المكان الأرضي ضيقاً قياساً بالمكان الأخروي، كما أن الزمن قليل في الدنيا إذا قيس بالآخرة؛ لتكون الدنيا معبراً لها، وركَّز على الإنسان في محوري

¹ (الرحمن: 55

² (الرحمن: 55

³ (الشعيلي، الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، ص63

الزمن والمكان، لأنه خليفة الله في الأرض، فضيق عليه حدود الزمان والمكان في الدنيا؛ ليتسعا له يوم القيامة على نحو من تشويق، إلى عمل صالح في دنياه ليلقى جزاءه في الآخرة براحة نفس، وهدوء بال، ونيل ما كان يتمناه، فيرضى عن ربه ويرضى ربه عنه، وأما عرض المشاهد المرعبة السوداء فمن باب ترهيب الإنسان، أما أن يعتدل وهو المطلوب، أو يبقى على حاله شاهداً على سوء عمله، ليشهد عليه عمله السيئ، فينال عقاب الله يوم الحساب.

ولقد جعل الأعراق البشرية بألوانه : **السود، والصفرة، والحمرة، والبيضاء،** أجمل الألوان بين مخلوقات الله، حتى وإن نفر البعض من **السود، أو الاحمرار، أو الاصفرار،** فالسود صبغهم الله باللون الجميل الذي يناسبهم مثل البيضا، فلا فرق في الجمالية بين لون ولون، ما دام التلوين يظهر في صورة جميلة بديعة.

9.1.3 الرمز / الشيفرة

الرمز هو تصويت خفي باللسان كالهمس، والرمز: إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفنتين، والرمز كل ما أشرت إليه مما بيان بلفظ أي شيء أشرت إليه بيد أو عين⁽¹⁾

وقال ابن وهب : " وأما الرمز فهو ما أخفي من الكلام، وإنما يستعمل المتكلم الرمز في كلامه فيما يريد طيه عن كافة الناس والإفشاء به إلى بعضهم فيجعل للكلمة أو الحرف اسماً من أسماء الطيور والوحوش أو سائر الأجناس، أو حرفاً من حروف المعجم ويطلع على ذلك الموضع من يريد إفهامه رمزه فيكون ذلك قولاً مفهوماً بينهما، مرموزاً من غيرهما"⁽²⁾

وكذلك **الفوكل** أو العلاقة أو الشيء المادي الذي له معنى اصطلاحى⁽³⁾، هذا وقد عدَّ ابن رشيق الرمز من أنواع الإشارة⁽⁴⁾

1 (ابن منظور، لسان العرب، مادة (رمز)

2 (الدورى، محمد، (2002). دلالات اللون في الفن العربى الإسلامى، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص34

3 (الجندي، درويش، الرمزية في الأدب العربى، مكتبة النهضة، القاهرة، 1958، ص70

ابن رشيق، القيروانى، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق : محيى الدين عبد الحميد د، ط2،

القاهرة، 1955، ج1/ص306

وقد بدا الرمز في القرآن الكريم في رؤيا البقرات السبع والسنابل السبع ، فحملت الرؤيا رمزاً حقيقياً على خطة اقتصادية مدتها خمس عشرة سنة ، ورؤيا الملك هذه مرموزة ، أو ربما تسمى مشفرة بحاجة إلى من يحل رموزها، فكان يوسف - عليه السلام - حلّالها، وكانت رمزاً لتداعي المعاني ، إذ تذكر ساقى الملك، وهو أحد سجينى الملك ممن كانا مع يوسف، كما عبّر له يوسف - عليه السلام - رؤياه من قبل، فكان كما قال، أمّا الآخر الذي رأى الطيرَ يأكلُ الخبزَ من فوق رأسه فقتل، كما عبّر له يوسف - عليه السلام - رؤياه من قبل، فكان كما قال. إن هذه الرموز إشارات بل إيماءات تحتاج إلى فكِّ شيفراتها، إن مثل هذه الأحلام - أحلام موت الأحياء - ينظر إليها سيجموند فرويد على أنها أحلام نمطية، يعزوها إلى رغبة الإنسان الرائي بالموت، لأنها مشاعر مكبوتة منذ صغره، وهي انعكاس لما كان تمناه في يوم من الأيام، ولو في أيام الطفولة كما يتمنى الأخ المظلوم وفاة أخيه الذي كان ظلمه، ولئن كان يصدق في بعضها، فقد تجتنبه الحقائق في كثير من الأحيان، ذلك لأن فرويد " اهتم بالجنس بسبب اهتمامه بدراسات التلمود التي شوهاها يهود، فورد أن نبيا ي زني ببنته ليحفظ نسله، فأخذ يجسم دور الغريزة(1)، ويقال مثله عن هلوسات ينظر إليها فرويد من منحى نفسي يخطئ في فرضياته، على عكس ما كان يفعله ابن سيرين في تفسيره كما أسلفنا الذي اعتمد فهم القرآن الكريم، وأحاديث الرسول الكريم وأمثال العرب، وغير ذلك مما يجمل قوله، وهو اعتماده على الصفاء الروحي الذي يعد من أرقى التجليات الربانية بين العبد الصالح وربه، ومثل هذا نظر إليه بعض فلاسفة الإسلام فحددوا علم الدين بأنه صور يتحلى بها العقل ليستعملها فيما يرجو الانتفاع به بعد الموت كما يرى جابر بن حيان(2).

1 (عرقسوسي، محمد خير وزميله، الدراسات النفسية عند المسلمين - ابن سينا والنفس الإنسانية، التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي، 1970، ص18، وانظر: جرجس، صبري، التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي، 1970.

2 (الأعسم، عبد الأمير المصطلح الفلسفي عند العرب نصوص من التراث في حدود الأشياء ورسومها، بغداد، مكتبة الفكر العربي، ط1، 1985، ص102

ومن الرمز الكناية التي ذكرها الجرجاني "معنى المعنى"، فلا نعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ الذي تصل إليه بغير واسطة إنما تعني المعنى الذي يفضي بك إلى معنى آخر (1) كبيض الوجوه وسودها لا على المعنى الحرفي؛ إنما على دلالة رمزية تحمل على هدوء وطمأنينة المؤمن، واضطراب الكافر وقلقه.

10.1.3 الصور المركبة والمفردة

تنقسم صور الألوان إلى قسمين هما: صور مركبة وصور مفردة، أمّا الصور المركبة فنلاحظها في الألوان سلباً إيجاباً فإذا كان اللون الأسود توزع على وجوه الكافرين في دنياهم وأخرتهم، فبرزت صورهم قاتمة تتحرق في جهنم السوداء كمشهد عام لها في الدنيا والآخرة سلباً، فإننا لا نعدم أن نشهد جنتين مدهامتين أعدتا للمؤمنين يوم القيامة إيجاباً.

ومثلها الصور اللونية البيضاء لعيد موسى إيجاباً ولعيني يعقوب - عليه السلام - سلباً مما يحملنا على القول أن مثل هذه الدراسات اللونية تحمل فسيولوجيا لتصب في مندى الإحساس الشخصي للفرد، كما ذكرت بعض الدراسات الغربية كما أسلفنا في الجداول.

أمّا الصور المفردة فتجدها في إخراج اللؤلؤ والمرجان من البحر على أنها منة من الله - تعالى - على خلقه، يستحق عليها الحمد والشكر، أمّا حذف الكلام، فأشرنا إليه في مكانه، مما يزيد من سحر الكلام بقلة لفظه وكثرة معناه، واستدعائه أبنية اللغة المتعددة لاقتناص ما جمعته شبكة علاقات اللغة المترصدة للمعنى المطلوب.

وبرز في الألوان نمط الشخصية التي دارت حولها الصور اللونية فكانت الشخصية الإنسانية التي ركزت على حياته الأخرى أكثر مما ركزت على حياته الدنيا، لأنّ الدنيا دارٌ ضيقة المكان، قصيرة الزمان، قياساً بما أعده الله - تعالى - لعباده ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وعليه فعرض الله - تعالى - مشاهد لونية لترهيب الكفرة والمشركين، ليؤمنوا ويعتبروا، وإلا فمآلهم

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص343.

جهنم ترمي بشرر، كأنه جمالات صفر، كما عرض مشاهد لونية لترغيب المؤمنين؛ ليعملوا الصالحات وزيادة، ليتكئوا على الأرائك الخضراء، ويشربوا من كأس خمرة لذيدة، لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون، ويتمتعوا بأزواج من حور عين، فتكتمل دائرة سعادتهم بالخمير روحا، والنساء جسدا وروحا، وسقياهم لبنا خالصا من أنهار حينا وعسلا حينا آخر، جزاء بما كانوا يعملون.

2.3 النتائج

لقد أبرزت دراسة اللون أموراً، نعتنُّها ولا نعدُّ دُها منها؛ أن اللونَ يعني أحدَ القيمِ الخالدةِ الثلاثِ الحق والعدل، ومنها تعيين التراثِ شـ أن التعميد النصراني في مياه المعمودية، وصبغ المولود "ومن أحسن من الله صبغة" (البقرة 138/2) ثم انزياح الدلالة اللونية إلى تغيير لون من ألوان خلق الله تعالى . ومنها عرضت الألوان مشاهد من الطبيعة الملونة وتوا زعت على النبات من زرع وثمر وشجر، مختلفا ألوانه، فرشف النحلُّه عسلا مختلفا ألوانه، فيه شفاء للناس، كما شمل اللون من الطبيعة الجبال، مختلفة الألوان من بيضٍ وسودٍ وحمرة؛ على محمل من تدبيج بلاغي، كما أبرز اللون زرقه السماء وانشاقها عن وردة حمراء تتلهب ناراً، شأنه — عز وجل — وهو يغطش الليل فيسودُّ، ويخرج الضحى فيبيضُ في ممارسة ربانية يومية من غير أن يجد فيه تعباً حاشا لله — ولا علاجاً، في إبداع يومي، فسبحانه من بديع للسماوات والأرض وما فيهن، من خلق عجيب.

وبلرز اللون مشهداً من عصر الجاهلية فاذاكرهم بحشر المجرمين يوم القيامة زرقاً لعيون، من الهول والحزن، فاذاكرهم بزرق العيون من الرُّوم وقد كانوا على مشارف جزيرتهم العربية، وقد كان الغساسنة العرب تحت سطوتهم، وعرض اللون جدلية بني إسرائيل لنبيهم موسى — عليه الصلاة والسلام — لتعيين لون البقرة ليذبحوها فيستنطقوا القتل عن من قتله، فالحوا عليه، فشدد الله عليهم سعرها الغالي، فذبحوها بعد أن ملأوا جلودها ذهباً وما كادوا يفعلون، فكان اللون الأصفر الفاقع جليلاً ثمنه من الذهب الأصفر غال، لون يبهج النفس ظاهراً لكنه باطنياً يثير مكامن الاسى، فما كادوا يذبحونها لارتفاع ثمنها، ومن أخرى فعلمهم الخالق

المبدع – جلَّ شأنه – بلونها الفاقع أن كثرة الأسئلة الجدلية تجلب المشقة عليهم، فما كان عليهم من حرج لو ذبحوا أي بقرة وقد كان نكرها، لو فعلوا من قبل لأجزأتهم ؛ لكنهم أكثروا من تعيينها فزادهم الله تعالى عنتا على عنتهم ، فاللون يتعارض داخله عن ظاهرة أحيانا؛ من منحى نفسي ، فيدُ موسى عليه السلام جعلها الله – تعالى – بيضاء فترة قصيرة ؛ ليثبت للسحرة معجزة، فامنوا، لكنها لو بقيت كما هي بيضاء على أدمته لأبرزته أبرص على نحو من لون غير مرغوب فيه، وإذا كان اللون الأبيض في يد موسى عليه السلام ، جاء معجزا فعاد للونه بعد المعجزة فإنَّ عينيَّ سيدنا يعقوب اببطلت من الحزن على ولده يوسف حينما من الدهر ، وعادنا تبصران بعد عودة ولده فلم يكن اللون الأبيض مريحا في كلِّ احواله، ولكنه لما استنشق ريح قميص ولده يوسف، عاد فقرت عينه وعاد النور إليها، ظاهرتان على يد نبي وعينه وكل منها عاد إلى ما كان عليه بعد أن اظهر الله تعالى قدرته، على الأخذ والإعطاء، في نزعه خواص النواميس إن شاء أو إيقاءها – عزَّ شأنه وجلَّ – كل ذلك كان إعجازاً بدلالات اللون.

وأبرزت الألوان تداعي المعاني لساقى الملك الذي خرج من سجنه بتأويل يوسف عليه السلام له، ونسي ما أوصاه به يوسف ليذكره عند ربه، فمكث يوسف في السجن ضع سنين، فتداعى المعنى لساقى لما رأى الملك الـ بقر السمين والضعيف والسنابل الخضر واليابسات فكان بالتداعي سببا لخروج يوسف وتملكه، بعد عناء بدليل الألوان ومعانيها، وقادته إلى تدبير اقتصادي فخرَّ ن قمحا بسنابله الصفر لكي لا يصيبه عفن ، أو تأكله حشرات الأرض. وعرض اللون مشهداً واسعاً كجهنم، وهي ترمي بشرر ، كأنه جمالات صفر "جمع جمع" دلالة إعجازية ، بلونها المصفر شرراً على تقاذف متتابع بجمع جمع "جمالاتموظفا من طاقة اللغة، فعلا مضارعاً "ترمي" بشرر كالمصفر" بتتابع المقذوفات على أنها لا تنتهي، بصورة مرعبة حجماً كالقصر ولونا مصفراً مشوباً بسواد؛ من شرر جهنم يتقاذف من أتونها مشوب بين سواد وصفرة، يحمله معنى الفعل المضارع "ترمي" على غير توقف .

وعرض اللون للمكان ضدَّ يقاً كالدينا وواسعا كالآخرة، كما عرض للزمان فزماننا في الدنيا قليل ؛ قياساً بزمن ممتد غير محدود في الآخرة، ليتعظ المتلقي بما

يُعرض إليهما، وانسحن اللون بتوقيت الصيام مذ يتبيّن ن اللون الأبيض من الأسود؛ من الفجر، وذكر الخالق – عزّ وجلّ – من الفجر توضيحا للناس حتى لا يظنّ من عرض وساد الله على المعنى الحقيقي ، بل يدركه على المجاز من يميّز بين فجر حقيقي ، يمتدّ ضياؤه عرضا يمينا ويسرة ووهمي كذنب السرحان عموديا في الفضاء.

وأبرز اللون أهمية الشيفرة مرّمة يدركها الرائي والمفسر، فالبقرات السبع السمان والضّعاف ترمز إلى سنين الخصب والجفاف، ومثلها السبع السنبلات الخضراء اليابسات، فهي رموز للخصب والجفاف، ومثلها رؤيا يوسف عليه السلام لسجود الشمس والقمر " وأحد عنكوكبا له، وهي من عناصر اللون، هي رموز لأبويه وإخوته الأحد عشر، ورؤيا الأنبياء حق، أمّا المتلقي فيعقوب أبوه عليه الصلاة وعلى نبينا محمد قبله وبعده، ففسر رموز الشيفرة، وحذّره من أن يقصّ رؤياه على إخوته؛ خشية أن يبعث الحسد من مكانه فيهم – وكان يعقوب على قناعة، بأن ابنه يوسف سيصير ذا شأن كبير وكان يعقوب مطمئنا إلى تحقيق وعد الله، وإن كان ولده يوسف قد غاب عنه، ثم أخواه بنيامين والأكبر منهم من بعد، فكان يعقوب عليه السلام متأكدًا من أن رؤيا ابنه يوسف حقيقة واقعة، بدلالات لون الشمس والقمر والكواكب، ورؤيا الأنبياء حق، فلمّا دعاه يوسف وأهله وإخوته إلى مصر، خرّوا له سجداً سجود احترام لا عبادة، فبادره يوسف قائلاً بعد أن رفع أبويه على العرش وخرّوا له سجداً "ولّى يا أبتِ هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو" (سورة يوسف 12، آية 100) إنها رموز يتعارف عليها الأنبياء والناس ابتدرنا نذكر الارتجاع الخلفي (flashback).

واللون يبرز مركباً على وجوه الكافرين في الدنيا والآخرة ، والأبيض لون مركب على وجوه المؤمنين في الدنيا والآخرة أيضاً، و أبرز اللون نمط الشخصية الإنسانية ، فتركزت عليه في الآخرة أكثر مما هو في الدنيا لأن الآخرة هي دار القرار. وأبرزت الصورة دلالات نفسية حسب الرائي وان تماثلت الحالة، فالصالح بحجّان رأى نفسه يؤذني الأشهر الحرم والطلح تقطع يده أن رأى نفسه يـ وذن على ما يفسر من قوليه تعالى، كما فسرها بعض العلماء.

ونظرية اللون في القرآن الكريم قبس يهتدي به في كل زمان ومكان ، فإنه سابق لجميع مكثلت العلماء في كل عصر، فإذا كان بعض العلماء يرون أن الألوان غير سبعة، وهو صحيح؛ فإن القرآن الكريم عمم اللون، ولم يحدده بقوله "مختلف ألوانه" فإخضع كل الألوان الحالية، وما يمكن أن يكتشفه العلم مستقبلاً من ألوان إلى ما أبدعه الخالق العظيم - عزَّ شأنه - تحت قوله "مختلف ألوانه" كما ذكر في آية أخرى "والخيلَ والبغالَ والحميرَ لتركبوها وزينةً ويخلق ما لا تعلمون" (سورة النحل آية 8) إذا كانت الحيوانات المذكورة معروفة، وسائل نقل، وفيها جمال حين نروح عليها ونسرح، وتحمل أثقالنا إلى أمكنة؛ لا نصل إليها إلا بشق الأنفس، فإن إبهامه تعالى بقوله "ويخلق ما لا تعلمون" قد أخضع به وسائل النقل البرية والبحرية والجوية ما كان منها معروفاً في عصرهم وما يمكن أن يُتخمن غيرها؛ واسطة نقل مستقبلاً لمتعددات، تكتشف جديدة بحثاً مطرداً في أي عصر من العصور سواء أكانت فلكية لم غير فلكية، فإنها ستظل خاضعة إلى طاعة ما تشمله "ويخلق ما لا تعلمون" شأنها في مختلف ألوانها، وما يتم اكتشافه من ألوان عبر العصور فسبحانه من خالق بديع السموات والأرض وما فيهن وهو الذي عزَّ شأنه أنه يتخشاه من عباده العلماء.

ومخلص القول فإن الذي ذكرت من دلالة الألوان ، هو غيظ من فيض دلالات من لدن كتاب الله الذي لا تنتهي أعاجيبه، ولا يخلق بكثرة الرد، وهو مائدة الماء الذي منه يطعمون ولا يشبعون. فسبحانه وتعالى عما يشركون.

المراجع

- ابن حزم، أبو محمد علي احمد، (1980) طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق: صلاح الدين القاسمي، دار المعارف، القاهرة.
- ابن حزم، أبو محمد، (1978) الأصول والفروع، تحقيق محمد عاطف العراقي وزميليه، دار النهضة العربية، ط1.
- ابن رشيق، القيرواني، (1955) الهدى في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، ط2، القاهرة.
- ابن سنان، أبو محمد الخفاجي، (1982). سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن سيده، أبو الحسن علي ابن إسماعيل، (1956). المخصص، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر.
- ابن سيرين، محمد، (1996). تفسير الأحلام الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن طباطبا، محمد العلوي، (1956) عيار الشعر، تحقيق: طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، القاهرة، المكتبة التجارية.
- ابن عاشور، الطاهر، (2000). التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط 1.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم (1985)، الشعر والشعراء، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، (1981) تفسير القرآن العظيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . (د.ت)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.
- أبو زيد، علي، (1981) الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي، القاهرة، دار المعارف.
- أبو صافية، جاسر خليل، (1990). الدقة العلمية في مسميات الألوان في اللغة العربية، بحث قدم في مؤتمر العلمي حول الكتابة العلمية في اللغة العربية، بنغازي، 2- 9 / 8 / 1990.

- الأسدي، سردار محمد سعيد المعمار، (2001) الإعجاز اللوني في القرآن الكريم ، بحث مقدم إلى المؤتمر الأول للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الرياض ، 2001/4/30-18.
- الأصفهاني، الراغب، (1992). مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان داؤدي، ط1، دار القلم، دمشق.
- الأعسم، عبد الأمير، (1985). المصطلح الفلسفي عند العرب: نصوص من التراث في حدود الأشياء ورسومها، ط1، مكتبة الفكر العربي، بغداد.
- الآلوسي، شكري، (1985). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط4، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الثعالبي، أبو منصور عبد المل ك، (1992). فقه اللغة ضبطه وعلق عليه : ياسين الأيوبي، ط1، المكتبة العصرية، صيدا.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (1969). الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط3، منشورات المجمع العلمي العربي الإسلامي.
- جبري، شفيق، (1967). لغة الألوان مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج4، ص200.
- الجرجاني، الشريف علي بن محمد السيد، (1991). التعريفات، تحقيق: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة.
- الجرجاني، عبد القاهر، (1956). دلائل الإعجاز، تصحيح محمد رشيد رضا، ط 4، دار المنار، القاهرة.
- الجرجاني، عبد القاهر، (1954). أسرار البلاغة، المعارف، استنبول.
- الجزائري، أبو بكر، (1994) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- الجندي، درويش، (1958). الرمزية في الأدب العربي، مكتبة النهضة، القاهرة.
- الحاوي، إبراهيم، (1997). التشكيل اللوني في شعر أبي تمام، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد59، السنة الخامسة عشر، ص ص72-86.

- حمدان، أحمد عبد الله ، (2008). دلالات الألوان في شعر نزار قباني ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
- حمدان، نذير، (2002) الضوء واللون في القرآن الكريم : الإعجاز الضوئي - اللوني، ط1، دار ابن كثير، بيروت.
- خليفة، عبد الكريم، (1987). الألوان في معجم العربية مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، سنة11، ص36- 37
- الدوري، محمد، (2002) دلالات اللون في الفن العربي الإسلامي ، دار الشؤون الثقافية، بغداد.
- الرازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، (2005). مختار الصحاح، دار المعرفة للطباعة والنشر.
- الراشد، صلاح، (2005). مقال عن الألوان، مجلة فواصل، ص6.
- ربابعة، حسن، (1994) الصورة الفنية في شعر البحري ، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- ربابعة، موسى، (1998). جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى، بحث نشر في مجلة جرش للبحوث والدراسات، مج6، عدد4، ص ص 9 - 49.
- الرباعي، عبدالقادر، (1984). في تشكّل الخطاب النقدي مقاربات منهجية معاصرة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- الربيعي، شوكت، (د.ت). الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي 1885 - 1995، دار الشؤون الثقافية، بغداد.
- الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، (د.ت). الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، القاهرة.
- ستولينتز، جيروم، (1981). النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية، ترجمة: فؤاد زكريا، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- سلوم، داود، (1982) الصورة الفنية في شعر عرابة اليمانية ، مسقط، وزارة التراث القومي، مسقط.

- الشتيوي، صالح، (2000)جماليات اللون في شعر بشار بن برد ، أبحاث اليرموك: سلسلة الآداب اللغوية، المجلد18، العدد1، ص83-114
- الشعيلي، سليمان بن علي، (2007). الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد4، العدد3، 2007.
- طالو، محيي الدين، (1961). الرسم واللون، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق.
- الطبرسي، محمد، مجمع البيان، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)،
- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير ، (1992)جامع البيان في تأويل القرآن ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- عبدالغني، صبري محمد، (1989). البحث في الفراغ، مطبعة جامعة بغداد، بغداد.
- العراقي، عاطف، (1984). ثورة العقل في الفلسفة العربية، ط5 ، (د.م)، (د.ت).
- عرقسوسي، محمد خير وزميله، (1970). الدراسات النفسية عند المسلمين - ابن سينا والنفس الإنسانية، التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي ، (د.م).
- عساف، ساسين، (1982)الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس ، المؤسسة العلمية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.
- عمر، أحمد مختار، (1997). اللغة واللون، ط2، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة.
- غربال، محمد شفيق وزملاؤه، (1986). الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان، بيروت، لبنان.
- الفارابي، محمد بن طرخان، (د.ت). الثمرة المرضية، (د.ن) (د.م).
- قرانيا، محمد، (1998). ظاهرة اللون في القرآن الكريم، بحث نشر في مجلة التراث العربي، العدد70 ، كانون الثاني، يناير، السنة الثامنة عشرة.
- القرطاجني، حازم، (1981).منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم محمد الحبيب بن الخوجة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- القرطبي، محمد بن أحمد، (1985). الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- قطب، سيد، (1996). التصوير الفني في لقرآن الكريم، ط25، دار الشروق، القاهرة.
- قطب، سيد، (1996). في ظلال القرآن، ط25، دار الشروق، القاهرة.
- الكندي، يعقوب بن اسحق، (د.ت). رسالة في حدود الأشياء ضمن رسائل الكندي الفلسفية، (د.م)، (د.ن) .
- متوج، سمران نديم، (2004) لالات اللون ورموزه في الشعر الجاهلي ، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة تشرين، دمشق.
- مطلوب، أحمد، (1983) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.
- النعمان، فرج عبو، (1982). علم عناصر الفن، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، أكاديمية الفنون الجميلة، بغداد.
- نوفل، يوسف حسن، (1985). الصورة الشعرية دار الاتحاد العربي، ط 1، (د.ن) (د.م).
- ياسوف، احمد، (1994). جمالية المفردة القرآنية، ط1، دار المكتبي، دمشق.

معلومات شخصية

الاسم: نجاح عبدالرحمن سلمان المرزوقة

الكلية: الآداب

التخصص: اللغة العربية آدابها

السنة: 2010

الهاتف النقال: 00962776429362

البريد الإلكتروني: Najah19822010@hotmail.Com